

# نعمة الشمس في ضوء القرآن الكريم



أ.د/ أحمد بن محمد الشرقاوي

## مقدمة البحث

في إحدى وثلاثين آية وردت كلمة الشمس في القرآن الكريم، إلى جانب ورودها بصفاتها، وبتدبري لهذه الآيات تبين لي أن القرآن تحدث عن الشمس باعتبارها آية من آيات الله الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وربوبيته لهذا العالم وإنعامه على عباده بأسباب البقاء والعيش، فالشمس سبب لكثير من الإنعام فمنها النور والدفء، وهي حساب زمني ومكاني للعباد، ومواقيت للصلوات والأذكار، وهي مسخرة بأمر الله - تعالى - للإنسان شأنها شأن غيرها من المسخرات، ودائبة لا تتوقف ولا تتوانى، وهي في عبادة الله - تعالى - تسجد لعظمته وتسبح بحمده. كما تحدث القرآن عن مصيرها يوم القيامة، فكما كانت في الدنيا مصدر إمداد وعطاء، فهي يوم القيامة مشهد وفصل من أهوال هذا اليوم العظيم يومئى بجلال الله وعظمته وجبروته وكبريائه.

وينقسم هذا البحث إلى سبعة مباحث: يدور فيها الحديث عن تعريف الشمس، وتعريف: [القمر، النجوم، الكواكب]. حكمة اقتران الشمس بالقمر في القرآن. الشمس من آيات الله العظيمة، التسخير. جريان الشمس. الشمس وحساب السنين. القسم بالشمس. الشمس والظل. أوصاف الشمس: الشمس سراج وهاج. الشمس ضياء. سجود الشمس لله تعالى.

الشمس ومواقيت العبادات. عبادة الناس للشمس. موقف إبراهيم - عليه السلام - مع قومه. مملكة سبأ وعبادة الشمس، الشمس يوم القيامة، حال الشمس

عند قيام الساعة. الجنة لا شمس فيها، لمسات إعجازية في حديث القرآن عن الشمس. ثم الخاتمة وفيها النتائج والتوصيات ومراجع البحث.

### **خطة البحث، وفيها مقدمة وسبعة مباحث:**

مقدمة، وفيها نبذة عن الموضوع، وأهمية تناوله، وخطة البحث.

**المبحث الأول:** تعريف الشمس.

**المبحث الثاني:** الشمس من آيات الله العظيمة.

**المبحث الثالث:** أوصاف الشمس.

**المبحث الرابع:** الشمس والعبادة.

**المبحث الخامس:** عبادة الناس للشمس.

**المبحث السادس:** الشمس يوم القيامة.

**المبحث السابع:** لمسات إعجازية في حديث القرآن عن الشمس.

ثم ذكرت الخاتمة مع أهم النتائج والتوصيات، ثم فهرس المصادر

والمراجع.

## المبحث الأول

### تعريف الشمس

المطلب الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي.

أولاً: المعنى اللغوي.

شمس: الشَّيْنُ وَالْمَيْمُ وَالسَّيْنُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى تَلَوْنٍ وَقَلَّةِ اسْتِقْرَارٍ، وَسُمِّيَتْ بِالشَّمْسِ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا غَيْرُ مُسْتَقَرَّةٍ، فَهِيَ أَبَدًا مُتَحَرِّكَةٌ. وَيُقَالُ: شَمَسَ يَوْمَنَا، وَأَشْمَسَ، إِذَا اشْتَدَّتْ شَمْسُهُ، وَالشَّمُوسُ مِنَ الدَّوَابِّ: الَّذِي لَا يَكَاذُ يَسْتَقِرُّ. يُقَالُ شَمَسَ شِمَاسًا<sup>(١)</sup>.

قال الراغب: "الشَّمْسُ يقال للقرصة، وللضوء المنتشر عنها، وتجمع على شُمُوسٍ. قال - تعالى -: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [يس: ٣٨]، وقال: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

[الشَّمْسُ] النَّجْمُ الْأَقْرَبُ إِلَى الْأَرْضِ، حَيْثُ تَدُورُ حَوْلَهُ مَعَ سَائِرِ كَوَاكِبِ الْمَجْمُوعَةِ الشَّمْسِيَّةِ<sup>(٣)</sup>.

فالشمس: نجم مضيء في السماء يشع لنا حرارة وضياء.

(١) مقاييس اللغة [٢/١٣]. مادة [شمس].

(٢) المفردات في غريب القرآن [ص: ٤٦٤].

(٣) استقذت هذا التعريف من د. محيي الدين عبد الغني أستاذ الفيزياء بالنرويج، ويراجع المعجم الوسيط [١/ ٤٩٤] والمدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة [ص: ٧٨] محمد محمود محمددين/ طه عثمان الفراء .

## المطلب الثاني: الشمس في الاستعمال القرآني.

في إحدى وثلاثين آية وردت كلمة الشمس في القرآن الكريم، إلى جانب ورودها بصفاتها؛ وكذلك ما ورد في قوله - تعالى - عن صفة نعيم الجنة ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۖ ﴿١٣﴾﴾ [الإنسان: ١٣] وبتدبري لهذه الآيات تبين لي: أن القرآن تحدث عن الشمس باعتبارها آية من آيات الله الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وربوبيته لهذا العالم وإنعامه على عباده بأسباب البقاء والعيش، فالشمس سبب لكثير من الإنعام فمنها النور والدفء، وهي حساب زماني ومكاني للعباد، ومواقيت للصلوات والأذكار ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنِ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۖ ﴿٧٨﴾﴾ [الإسراء: ٧٨]، والذُلُوكُ الغُرُوبُ... وَقِيلَ: الذُّلُوكُ زَوَالُ الشَّمْسِ نِصْفَ النَّهَارِ. وَقِيلَ: الذُّلُوكُ مِنْ وَقْتِ الزَّوَالِ إِلَى الغُرُوبِ.

الغَسَقُ سَوَادُ اللَّيْلِ وَظُلْمَتُهُ. <sup>(١)</sup> وَقِيلَ: غَسَقُ اللَّيْلِ دُخُولُ أَوَّلِهِ. وقت صلاة العشاء قال - تعالى -: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ۖ ﴿١٣٠﴾﴾ [طه: ١٣٠] ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُرُوبِ ۖ ﴿٣٩﴾﴾ [لق: ٣٩].

وهي مسخرة بأمر الله - تعالى - للإنسان شأنها شأن غيرها من المسخرات، ودائبة لا تتوقف ولا تتوانى، وهي في عبادة الله - تعالى - تسجد لعظمته وتسبح بحمده. كما تحدث القرآن عن مصيرها يوم القيامة، فكما كانت في الدنيا مصدر إمداد وعطاء، فهي يوم القيامة مشهد وفصل من أهوال هذا اليوم العظيم يومئى بجلال الله وعظمته وجبروته وكبريائه.

(١) البحر المحيط لأبي حيان [٧/ ٩٧].

### المطلب الثالث: الألفاظ ذات الصلة: [القمر، النجوم، الكواكب].

**أولاً: القمر:** وأصله من القمرة، وهي البياض، ويجمع القمر أقماراً. فإذا قيل القمران، أريد: الشمس والقمر. كما تقول العمران، أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - . قال الشاعر:

..... لنا قمرها والنجوم الطوالع<sup>(١)</sup>.

**وفي الصحاح:** "القمر بعد ثلاث ليالٍ إلى آخر الشهر، سمي قمرًا لبياضه"<sup>(٢)</sup>. باعتبار أن أيامه الأولى يسمى هلالاً.

**والقمر:** جرم سماوي صغير يدور حول كوكب أكبر منه ويكون تابعا له، ومنه القمر التابع للأرض والأقمار التي تدور حول كواكب المريخ وزحل والمشتري وغيرها<sup>(٣)</sup>.

**قال ابن القيم - رحمه الله - عن القمر:** "وانظر إلى القمر وعجائب آياته، كيف يُبديه الله كالخيط الدقيق، ثم يتزايد نوره، ويتكامل شيئاً فشيئاً كلَّ ليلة حتى ينتهي إلى إبداره وكماله وتمامه، ثم يأخذ في النقصان حتى يعود على حالته الأولى؛ ليظهر من ذلك مواقيت العباد في معاشهم وعباداتهم ومناسكهم، فتميّزت به الأشهر والسنون، وقام به حساب العالم مع ما في ذلك من الحكم والآيات والعبير التي لا يُحصيها إلا الله"<sup>(٤)</sup>. كذلك يجدر بنا أن نتأمل في حجم القمر ومقدار بعده عن الأرض. فلو كان أكبر من هذا لكان المد الذي يحدثه في بحار الأرض كافياً لغمرها بطوفان يعم كل ما عليها.

(١) التلخيص في معرفة أسماء الأشياء [ص: ٢٥٦]، والبيت للفرزدق، يراجع: شرح نقائض جرير والفرزدق [٣/ ٨٢٦]. ويراجع: مقاييس اللغة [٥/ ٢٥].

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية [٢/ ٧٩٨]. مادة [قمر].

(٣) المعجم الوسيط [٢/ ٧٥٨]، مادة [قمر].

(٤) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ٣٠٣ - ٣٠٤.

وجاذبية الشمس وجاذبية القمر للأرض لهما حسابهما في توازن وضعها، وضبط خطاها في هذا الفضاء الشاسع الرهيب، الذي تجري فيه مجموعتنا الشمسية كلها بسرعة عشرين ألف ميل في الساعة وفي هذا الفضاء الشاسع الرهيب لا يختل مدار نجم بمقدار شعرة، ولا يختل حساب التوازن والتناسق في حجم ولا حركة".<sup>(١)</sup>

### ثانياً: النجم:

**النجم لغة:** نجم الشيء ينجم بالضم نُجوماً: ظهر وطلع. يقال: نَجَمَ السِّنُّ، والقَرْنُ، والنَّبْتُ، والنَّجْمُ: الوقت المضروب، ومنه سَمِيَ المُنَجَّمُ. ويقال: نَجَمْتُ المال، إذا أَدَيْتَهُ نُجوماً... والنَّجْمُ من النبات: ما لم يكن على ساقٍ. قال - تعالى -: ﴿ **وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ يَسْجُدَانِ** ﴾ [الرحمن: ٦]. والنَّجْمُ: الثريا، وهو اسمٌ لها علم، مثل: زيدٍ وعمرو. فإذا قالوا: طَلَعَ النَّجْمُ، يريدون الثريا<sup>(٢)</sup>.

**وفي الكليات لأبي البقاء:** كلُّ طالعٍ فَهُوَ نجم، يُقال: نجم السن، والقرن، والنبت إذا طلعت...<sup>(٣)</sup>.

وسمي النجم نجماً؛ لطلوعه في السماء كذلك لما ينجم عنه من إشعاع كما يقول د محيي الدين عبد الغني " جزيئات ذات طاقة عالية ضوئية وحرارية".

**والنجم اصطلاحاً:** جسمٌ سماويٌّ مضيءٌ ذاتياً، يتألف من كتلة من الغازات تتكثَّر بسبب جاذبيتها الذاتية وتولِّد طاقة بتفاعلات نرّية في داخله"<sup>(٤)</sup>.

(١) يراجع: في ظلال القرآن ٧ / ٩٥ .

(٢) يراجع الصحاح [٥ / ٢٠٣٩]، وتاج العروس [٣٣ / ٤٧٥] . مادة [نجم].

(٣) الكليات [ص: ٥٢٣].

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة [٣ / ٢١٧٣]، والمعجم الوسيط [٢ / ٩٠٥]. مادة [نجم].

**وعرفها الجغرافيون بأنها:** أجرام سماوية تضيء بذاتها وتنبعث منها الطاقات الحرارية والضوئية نتيجة ما يحدث فيها من تفاعلات الجغرافيا<sup>(١)</sup>.

وحديث القرآن عن النجوم حديثٌ فيه البيان الكافي والجواب الشافي لما تحتاجه الإنسانية من معرفة، كما أنه يفتح الآفاق نحو مزيد من المعرفة لتلك الأجرام التي سخرها الله لمنافع الإنسان، قال - تعالى - : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ [الأنعام: ٩٧] وقال - تعالى - : ﴿ **وَعَلَّمَكُم مَّا لَمْ يَكُن لَكُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [النحل: ١٦].

قال قتادة: "خلق هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك فقد أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به"<sup>(٢)</sup>. يقصد بذلك الرد على الانحرافات الخاطئة والمعتقدات الفاسدة في النجوم، لكن قد يكون لخلقها فوائد أخرى كثيرة يكشف العلم عنها<sup>(٣)</sup>.

**وقال الرازي:** "أما النجوم: ففيها منافع: المنفعة الأولى: كونها رجوماً للشياطين، والثانية: معرفة القبلة بها، والثالثة: أن يهتدي بها المسافر في البر والبحر،... ومنها ما يغرب تارة ويطلع أخرى، وأيضاً منها ثوابت، ومنها سيارات، ومنها شرقية، ومنها غربية والكلام فيها طويل"<sup>(٤)</sup>.

والنجوم علامات على الأوقات والفصول والمواسم يهتدي بها العوام وأصحابُ الزروع والحادون والملاحون وغيرهم، وقد جعلها الله أمانةً وحفظاً للسماء وزينةً لها ﴿ **وَرَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ** ﴾ [الأنعام: ١٣].

(١) المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة [ص: ٦٦].

(٢) رواه البخاري معلقاً: كتاب بدء الخلق، باب في النجوم: رقم ٦١٤.

(٣) ألمح لهذا المعنى د محيي الدين عبد الغني عالم الفيزياء بالنرويج .

(٤) مفاتيح الغيب للرازي [ ١ / ٢٦٤ ] .

[فصلت: ١٢]. وقد أثبت العلم صلة الأفلاك والنجوم البعيدة عنا وتأثيرها على الأرض، بتدبير الله - تعالى - وحفظه لهذا العالم. كما حدثنا القرآن عن مصيرها وأحوالها يوم القيامة، فهي جزء من مشاهدتها العظام وأهوالها الجسام ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ٢﴾ [التكوير: ١- ٢] ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ٩﴾ [المرسلات: ٧ - ٩].

قال ابن القيم .. " ثم تأمل حكمته - تبارك وتعالى - في هذه النجوم وكثرتها وعجيب خلقها وأنها زينة للسماء، وأدلة يهتدى بها في طرق البر والبحر وما جعل فيها من الضوء والنور بحيث يمكننا رؤيتها مع البعد المفترط، ولولا ذلك لم يحصل لنا الاهتداء والدلالة ومعرفة المواقيت. ثم تأمل تسخيرها منقاداً بأمر ربها تبارك و - تعالى -، جارية على سنن واحد اقتضت حكمته وعلمه أن لا تخرج عنه، فجعل منها البروج والمنازل والثوابت والسيارة والكبار والصغار والمتوسط والأبيض الأزهر والأبيض الأحمر، ومنها ما يخفى على الناظر فلا يدركه. وجعل منطقة البروج قسمين: مرتفعة ومنخفضة، وقدر سيرها تقديراً واحداً، ونزل الشمس والقمر والسيارات منها منازلها، فمنها ما يقطعها في شهر واحد وهو القمر، ومنها ما يقطعها في عام، ومنها ما يقطعها في عدة أعوام، كل ذلك موجب الحكمة والعناية... (١).

### ثالثاً: الكوكب:

جاء في الصحاح: كوكب الشيء: معظمه. وكوكب الروضة: نورها. وكوكب الحديد: بريقه وتوقده (٢). وفي معجم البلدان: " الكوكب البياض في سواد العين ذهب البصر أم لم يذهب، والكوكب من السماء معروف ويشبه به النور فيسمى كوكبا، ويقال لقطرات الجليد التي تقع على النقل بالليل كوكب،

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم [١ / ٢١١].

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية [١ / ٢١٣].



والكوكب: شدة الحرّ، وكوكب كل شيء: معظمه مثل كوكب العشب وكوكب الماء وكوكب العيش، وغلّام كوكب إذا ترعرع وحسن وجهه، والكوكب: الماء (١).

وَالْكَوْكَبُ: جرمٌ سماويٌّ يَدُورُ حَوْلَ الشَّمْسِ ويستضيء بضوئها. وأشهر الكواكب مرتبة على حسب قربها من الشمس: عطارد الزهرة الأرض المريخ المشتري (٢).

والكواكب زينة السماء، تتألق ببريقها في سواد الليل الحالك، فتزدان السماء في عرس بهيج، وتطلق الشهب الحارقة لتصيب الشياطين التي تسعى لاستراق السمع، قال - تعالى -: ﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ۖ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ۗ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۗ دُحُورًا ۗ وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ ۗ ۝١٠﴾ [الصافات: ٦ - ١٠]. وقد أدى انبهار بعض الناس بها مع تزيين الشيطان إلى عبادتها من دون الله، وقد بين إبراهيم عليه السلام بالحجة القاطعة بطلان عبادتها في سياق تدرجه مع قومه وصولاً بهم إلى التوحيد الخالص، بعد تنفيرهم من عبادة الشمس والقمر والكواكب وإثبات بطلانها، قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكَوْكَبَ ۗ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ۗ﴾ [الأنعام: ٧٦].

كما تحدث القرآن عن مصير تلك الكواكب يوم القيامة حيث ينتثر نظمها وينفطر عقدها قال - تعالى -: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۗ ۝١ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ۗ ۝٢﴾ [الانفطار: ١ - ٢]، وهذا يدل على أنها كانت متسقة منتظمة.

(١) معجم البلدان [٤ / ٤٩٤].

(٢) المعجم الوسيط [٢ / ٧٩٣] مادة [كوكب].

"وتتمركز الشمس في القلب من النظام الشمس. وهي تحتوي، في الحقيقة؛ على ٩٩,٨ % من الكتلة الكلية للنظام الشمسي كله. وحولها يدور ثمانية كواكب، كلٌّ في فلكه [مداره] حول الشمس. وجاذبية الشمس هي التي تمسك الكواكب في أماكنها. وإلي جانب هذا يأتي ذكر المليارات من الأجسام الأخرى التي تدور حولها، ومن بينها "كويكبات"، و"مذنبات"، وأقمار، وكويكبات قزمية. والكواكب الأربعة الداخلية، أي الأقرب إلى الشمس، هي: عطارد، والزهرة، والأرض، والمريخ؛ تسمى "الكواكب الصخرية"، أو الكواكب الحجرية، وهي صغيرة نسبياً. وبعد هؤلاء نجد "الكواكب الغازية" الكبيرة الحجم، وهي: المشترى، زحل، وأورانوس، ونبتون..."<sup>(١)</sup>.

وتبدو لنا الشمس صغيرة نسبياً؛ وذلك لأنها تقع بعيداً جداً عن الأرض. على بعد ١٥٠ مليون كيلومتر، ويستغرق ضوءها ثمانين دقائق وعشرين ثانية فقط؛ للوصول إلى الأرض<sup>(٢)</sup>.

يقول د. محيي الدين عبد الغني: "ويلاحظ أن [السماء الدنيا] جاءت في ثلاثة مواضع فحسب في القرآن، وتوحي الآيات الثلاث بأن [السماء الدنيا] هي ما يعلونا من غلاف جوي يحيط بالأرض، وهو بالفعل الذي يمثل الحماية

(١) الشمس النجم الذي يهبنا الحياة ص ٣٦ معلومات وحقائق عن الشمس بأسلوب مبسط يفهمه الجميع، تأليف الكاتب النرويجي: د.بول بركا، ترجمة: د. محيي الدين عبد الغني، والكتاب مخطوط تحت الطبع، أرسله لي صديقي المترجم وقد أشرت له أن يغير عناوين البحث لما فيه من مخالفة عقديّة فواهب الحياة هو الله تعالى . ومن الأمانة أن أسجل هنا رده حيث قال: "نؤمن إيماناً راسخاً بأن الله هو خالق كل شيء، بما فيها الشمس والإنسان، وهذا حديث إيماني. أما الحديث العلمي فيتحدث عن السنة الإلهية التي تعطينا الحياة، فلا حياة على الأرض بدون الشمس. الأسلوب الإيماني في الحديث مختلف عن الأسلوب العلمي: عندما أتحدث عن كيف خلق الإنسان؟ أقول مخلوق من المنى وهي الحقيقة العلمية. وعندما أسأل من خلق الإنسان؟ فالإجابة دون تردد، الله تعالى]."

(٢) نفس المرجع ص ٣٦.

أبحاث نعمة الشمس في ضوء القرآن الكريم أ.د/ أحمد محمد الشرقاوي

---

والحفظ من المذنبات والكويكبات التي تحترق عند مرورها فيه قبل أن تصل إلى الأرض.

## المطلب الرابع: حكمة اقتران الشمس بالقمر في القرآن.

اقترن ذكر الشمس بالقمر في أكثر المواضع لما بينهما من ترابط وتكامل، فالشمس هي محور المجموعة التي تنسب لها والتي تضم مجموعة من الكواكب تدور من حولها مع تفاوت في سرعة الدوران واختلاف في مداراته، بينما القمر تابع للأرض يدور حولها ويعكس ضوء الشمس من وجهه اللامع، فينير في المساء، والشمس آية النهار والقمر آية الليل قال - تعالى -:

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٣]،

وبين - تعالى - كونهما مسخرين لمنافع الناس ومصالحهم قال - تعالى -:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِي ﴾ [النحل: ١٢]،

وأن حركتهما دائمة لا تتوقف إلى أن يأذن الله لهذا النظام بالزوال ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ [إبراهيم: ٣٣]. فذكر - تعالى - أن الليل والنهار والشمس والقمر من خلق الله - تعالى -، مسخرة بأمره من أجلنا، وأن الشمس والقمر يسبحان، واقتران الليل والنهار بهما واضح بين، كما في قوله - تعالى -:

﴿ وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ۝٢ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ۝٣ وَاللَّيْلُ إِذَا بَشَّهَا ۝٤ ﴾ [الشمس: ١ - ٤]. والليل والنهار له ارتباط بالشمس، فهي آية النهار، الظلام يحلُّ بغروب الشمس ويسفرُّ الصبح بشروق الشمس قال - تعالى -:

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس: ٥].

قال ابن القيم: "ومن تدبّر أمر هذين النيرين العظيمين وجدتهما من أعظم الآيات في خلقهما وجرمهما ونورهما وحركتهما على نهج واحد لا ينيان ولا يفتران،... ولا يجري أحدهما في فلك صاحبه ولا يدخل عليه في سلطانه، ولا تدرك الشمس القمر ولا يجيء الليل قبل انقضاء النهار، بل لكل حركة مقدرة

أبحاث نعمة الشمس في ضوء القرآن الكريم أ.د/ أحمد محمد الشرقاوي

---

ونهج معين لا يشركه فيه الآخر، كما أن له تأثيرا ومنفعة لا يشركه فيها الآخر،

وذلك مما يدل من له أدنى عقل على أنه بتسخير مسخر وأمر أمر وتدبير مدبر بهرت حكمته العقول وأحاط علمه بكل دقيق وجليل<sup>(١)</sup>.

وغالبا ما يتقدم ذكر الشمس على القمر، لكونها آية أعظم، ونورها ذاتي، بخلاف القمر فإن نوره قبس من نورها وانعكاس له، وهو تابع للأرض التي تتبعها مع غيرها من الكواكب، فكلاهما جزء من منظومة واحدة، خاضعان لسنن واحدة. ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

فجاء اقترانهما لبيان انتظام حركتهما ودوامها فلا تتوقف، بل تسير بحساب دقيق ونظام محكم لا يختل، قال - تعالى - ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٣]، وقال - تعالى - ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]

كما جاء اقترانهما في سياق بيان مصيرهما عند نهاية الكون، حيث يلتحمان ويتحدان فيصيران كتلة واحدة قال - تعالى - ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٩]

"إن حركة الأرض حول الشمس منضبطة تمام الانضباط، والتغيير يتم ولكن بدرجة ضئيلة لا تظهر إلا على مدى قرون، وهذا القمر الذي يتبع في حركته الأرض يدور في فلك مقرر ومنضبط مع تفاوت يسير جدا، يتكرر بعد كل ثمانية عشر عاما ونصف عام بدقة فائقة"<sup>(٢)</sup>.

ويرى البعض من "المفارقة السعيدة: أن قرصي القمر والشمس متساويان تقريبا عندما ننظر إليهما من الأرض إلا أن الشمس في الواقع أكبر من القمر

(١) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم [٢ / ١٦٥] بتصرف.

(٢) الإسلام يتحدى [٦٥] بتصرف. والكون من الذرة إلى المجرة د حمادي العبيدي ص ٢١.

وأبعد منه. ويفضل النسبة في بعد القمر والشمس عنا ونسبة قطر كل منهما،  
أمكن لكسوف الشمس أن يكون كلياً عندما يقع القمر بين الشمس والأرض في  
خطٍ مستقيم»<sup>(١)</sup>.

والحقُّ إنّ بُعد الشمس والقمر عن الأرض وقطرهما وبالنسب التي ذكرنا،  
ليس من المفارقات السعيدة أو الصدف العجيبة كما كتب أكثر الذين استقينا  
منهم المعلومات الفلكية أعلاه، بل بتقدير وتدبير وتسخير من خالقها، لحكم  
كثيرة، أمّا التعبير بكلمات كالصدفة السعيدة أو العجيبة فقد آن لها في القرن  
العشرين أن تُحى من كتابات العلماء ليحلّ محلها كلمة الخالق، ولكن  
الإنسان كان وسيظلّ كما وصفه ربه: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾﴾  
[العاديات: ٦].

---

(١) الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان [٧٤] بتصرف .

## المبحث الثاني

## الشمس من آيات الله العظيمة

الشمس آية من آيات الله وشاهدٌ يدلُّ على قدرته ووحدانيته وتدبيره لملكه، تمثُّنا بالدفع والطاقة والضوء، ولها دورٌ أساسيٌّ في عملية الإنبات والإثمار وإنضاجها، وبها نعرف الأوقات والأيام والشهور والسنين، وغير ذلك من منافعها التي لا يحصيها إلا خالقها ومسخرها - جل وعلا-.

قال - تعالى -: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ النَّجْمِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [يونس: ٥].

فالشمس من آياته - تعالى- الشاهدة والناطقة، يجليها الله في الكون المنظور وفي كتابه المسطور لأهل العلم. قال - تعالى -: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ مَا أَمَرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ نُوفُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الرعد: ٢].

فهي آيةٌ جليةٌ واضحة، وشاهدٌ حسيٌّ على البعث.

وقال - تعالى -: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [النحل: ١٢]، ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾ [فصلت: ٣٧]

فبيَّنت الآيات الكريمة كونَ الشمس آيةً من آيات الله تدل على كمال قدرته وربوبيته لهذا العالم وتدبيره ولطفه، وتشهد بوحدانيته - تعالى-، وهذه الآيات إنما يعتبر بها وينتفع العقلاء والعلماء، وقد ساقها الله لمن يريد أن يستيقن، فأية الشمس من أعظم الآيات التي يجب أن تسترعي انتباهنا وتثير عقولنا وتلفت أنظارنا إلى عظمة الخالق ولطف تدبيره وحسن تقديره. أما



الجُّهال والمشككون والغافلون فلا يقفون على هذه الآيات ولا يستبصرونها. فالشمس تشرق كل صباح وتغرب كل مساء حتى أصبحت عندهم أمراً مألوفاً لا يسترعي انتباههم ولا تثير وجدانهم، بل تحجب أهواءهم شمس الحقيقة فلا يبصرونها في رابعة النهار.

**فمن دلائل قدرته وشواهد عظمته:** الليل والنهار، وما بينهما من تداخل وامتزاج واختلاف وائتلاف، وتفاضل وتكامل، الليل بظلامه ووحشته وسكونه ورهيبته، ونجومه وأقماره وكواكبه، والنهار بجلائه وضياؤه وشمسه وحركته، وللشمس منافعها العميمة، منها الحرارة والضياء وتحديد المواقيت، ومنافع أخرى كثيرة تدل على حكمة الله وتقديره وعظمة تدبيره.

تقول الحسابات إن الشمس تبعد عن الأرض ٩٢,٥ مليون من الأميال، ولو كانت أقرب إلينا من هذا لاستحالت الحياة واحترقت الكائنات! ولو كانت أبعد منا لأصاب التجمد والموت ما على الأرض! والذي يصل إلينا من حرارة الشمس لا يتجاوز جزءاً من مليوني جزء من حرارتها. وهذا القدر الضئيل هو الذي يلائم حياتنا. ولو كان نجم الشعري بضخامته وإشعاعه هو الذي في مكان الشمس منا لتبخرت الكرة الأرضية، وذهبت بدأ!

وكذلك القمر في حجمه وبعده عن الأرض. فلو كان أكبر من هذا لكان المد الذي يحدثه في بحار الأرض كافياً لغمرها بطوفان يعم كل ما عليها. وكذلك لو كان أقرب مما وضعه الله بحسابه الذي لا يخطئ مقدار شعرة! وجاذبية الشمس وجاذبية القمر للأرض لهما حسابهما في هذا الفضاء الشاسع الرهيب، الذي تجري فيه مجموعتنا الشمسية كلها بسرعة عشرين ألف ميل في الساعة ومع هذا لا تلتقي بأي نجم في طريقها على ملايين السنين! وفي هذا الفضاء الشاسع الرهيب لا يختل مدار نجم بمقدار شعرة، ولا يختل حساب

التوازن والتناسق في حجم ولا حركة". (١) وصدق الله - تعالى - ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥].

فالشمس لا تتخلف عن مواعدها طرفة عين، والقمر له دورته الثابتة لا يتخلف عنها ومنازله لا يبرح فلكه ﴿لَا الشَّمْسُ بِنَبْغِيْهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الْاَيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُوْنَ﴾ [يس: ٤٠].

قال الرازي: "أما الشمس فتفكر في طلوعها وغروبها، فلولا ذلك لبطل أمر العالم كله، فكيف كان الناس يسعون في معاشهم، ثم المنفعة في طلوع الشمس ظاهرة، ولكن تأمل النفع في غروبها فلولا غروبها لم يكن للناس هدوء ولا قرار مع احتياجهم إلى الهدوء والقرار لتحصيل الراحة وانبعاث القوة الهاضمة وتنفيذ الغذاء إلى الأعضاء على ما قال - تعالى -: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اَيْلًا لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [يونس: ٦٧] وأيضاً فلولا الغروب لكان الحرص يحملهم على المداومة على العمل على ما قال: ﴿وَجَعَلْنَا اَيْلًا لِّيَاسًا﴾ [وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا] [البأ: ١٠ - ١١] والثالث: أنه لولا الغروب لكانت الأرض تحمي بشروق الشمس عليها حتى يحترق كل ما عليها من حيوان، ويهلك ما عليها من نبات على ما قال: ﴿أَلَمْ تَرَ اِىْنَ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ اَظْلَمًا وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ [الفرقان: ٤٥] فصارت الشمس بحكمة الحق - سبحانه وتعالى - تطلع في وقت وتغيب في وقت، بمنزلة سراج يدفع لأهل بيت بمقدار حاجتهم ثم يرفع عنهم ليستقروا ويستريحوا فصار النور والظلمة على تضادهما متعاونين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم هذا كله في طلوع الشمس وغروبها (٢).

(١) يراجع: في ظلال القرآن ٧ / ٩٥ .

(٢) تفسير الرازي [١ / ٢٦٣]، ونحو ذلك ما ذكره ابن القيم في التبيان في أقسام القرآن - [٢ / ١٧١] . يقول العالم الفيزيائي والكيميائي المصري المقيم بالنرويج محيي الدين عبد الغني: " هذه الآية الكريمة ليست دليلاً على ما قال الرازي من موت بسبب الشروق الدائم. وللعلم فالشروق الدائم إن حدث فلن يسبب الموت للكائنات الحية، بل يسبب الإخلال بوظائف الأعضاء".

## المطلب الأول: التسخير.

الصلة بين الحديث عن الكون وبيان إنعامه - تعالى - على عباده وعنايته واضحة وثيقة فخلق الكون وتسخيره للإنسان من أعظم النعم، وفي القرآن آيات عديدة تقرر هذا المعنى وترسخه: قال - تعالى - في سورة إبراهيم: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ [إبراهيم: ٣٢].

و"التَّسْخِيرُ": سياقة إلى الغرض المختص، فالمسخر: هو المقيض للفعل<sup>(١)</sup>.

وعرفه د. جبل في المعجم الاشتقاقي بقوله: " التسخير للآدميين هو إجراء الشيء على ما يوافقهم، وأن ينتفعوا به مختلف وجوه الانتفاع " (٢).

فالشمس والقمر من جملة المخلوقات التي سخرها الله - تعالى -، طوعها لمصالحنا ومعاشنا، قال الطبري: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾ يَتَعَاقَبَانِ عَلَيْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِصَلَاحِ أَنْفُسِكُمْ وَمَعَاشِكُمْ ﴿ دَائِبَيْنِ ﴾ فِي اخْتِلَافِهِمَا عَلَيْكُمْ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَنَّهُمَا دَائِبَانِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ<sup>(٣)</sup>.

وفي سورة النحل ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ ﴾ مَسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٣﴾ [النحل: ١٢ - ١٨].  
يذكرنا الله - تعالى - بنعمه التي لا تحصى والتي من أعظمها خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم والليل والنهار وغير ذلك من النعم المسخرة لمنافع الإنسان وتيسير عيشه، تلك النعم التي يغفل عنها كثير من الناس

(١) المفردات في غريب القرآن [ص: ٤٠٢] . وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز [٢٠٣ / ٣] بتصرف .

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، للدكتور محمد حسن جبل فصل السين والحاء . والحاء .

(٣) جامع البيان [١٦ / ١٣] .

جحودا ونكرانا، أو ذهولا ونسيانا؛ لكونها مألوفةً دائمة، فلا يشعرون بها مع جلائها ودوامها.

قال الواحدي: "معنى تسخيرهن: تذليلهن لما يراد منها من طلوع وأفول وسير ورجوع".<sup>(١)</sup>

وقال الماوردي: "مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ" يحتمل وجهين: أحدهما: مذلات بقدرته. والثاني: جاريات بحكمه<sup>(٢)</sup>. فكلها تحت قهره وسلطانه وإرادته جل وعلا.

وهذه المنظومة الكونية الواحدة في صالح الإنسان، فكلُّ ما في الكون مسخَّرٌ له، وكلُّ ما في الكون له دوره في هذه المنظومة، قال الجاحظ: "إذا تأملت في هذا العالم وجدته كالبيت المعدّ، فيه كلُّ ما يُحتاج إليه، فالسما مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كالبساط، والنجوم منوّرة كالمصابيح والإنسان كمالك البيت المتصرّف فيه، وضروب النبات مهياً لمنافعه وضروب الحيوانات مصرفة في مصالحه، فهذه جملة واضحة دالة على أن العالم مخلوق بتدبير كامل وتقدير شامل وحكمة بالغة وقدرة غير متناهية والله أعلم"<sup>(٣)</sup>.

والشمس والقمر يعملان بنظام دقيق مستمرّ بلا خلل أو عطب أو توقّف ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ [إبراهيم: ٣٣]. وهل هناك نظام بشري لا يعتريه الخلل؟ وهل يستطيع الإنسان أو الآلة أن تعمل بلا توقّف؟ إن لكل جهاز صلاحيته التي لا تتجاوز سنوات معدودة فكيف بهذين النيرين لا يتوقعان ولا يعطبان ولا ينحرفان قيد أنملة.

(١) التفسير البسيط [٩/ ١٧٤]

(٢) النكت والعيون [٢/ ٢٣٠]

(٣) تفسير الرازي ٣ / ٣١٩ .

واختلاف الليل والنهار آية عظيمة ونعمة جليلة من نعم الله - تعالى -  
 على الإنسان والكون، قال - تعالى -: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا  
 إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِن لِّئَلَّا غَيْرُ اللَّهِ يُآتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ  
 عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِن لِّئَلَّا غَيْرُ اللَّهِ يُآتِيكُمْ بِاللَّيْلِ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا  
 تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ  
 تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ [القصص: ٧١ - ٧٣].

"قاله - سبحانه وتعالى - لم يشأ أن يجعل الليل سرمدًا، أو النهار سرمدًا،  
 بل جعل الليل والنهار، ووصل بعضهما ببعض، ولم يجعل لأحدهما وجودا  
 بغير الآخر.. وجعل ذلك رحمة منه سبحانه، بعباده، وإحسانا إليهم..<sup>(١)</sup>.

#### المطلب الثاني: جريان الشمس.

بعيدا عن نور الإيمان ونور العلم شاع الاعتقاد في عصور الانحطاط  
 العلمي في أوروبا، أن الشمس ثابتة وأنها مركز الكون، بينما كان المسلمون  
 على علم بحركة الشمس وجريانها في مدارها من كتاب الله - تعالى -: ﴿  
 وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ  
 الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾  
 [يس: ٣٨ - ٤٠].

قال السعدي: وجريان الشمس " حركتها في فلکها المرسوم لها، وهي تقطع  
 دورة في هذا الفلك تمام السنة، وفي سرعة مذهلة ".<sup>(٢)</sup>، " فلا تتعدها، ولا  
 تقصر عنه، وليس لها تصرف في نفسها، ولا استعصاء على قدرة الله -  
 تعالى - . {ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ} الذي بعزته دبر هذه المخلوقات العظيمة، بأكمل

(١) التفسير القرآني للقرآن - [٤ / ١٣٧].

(٢) التفسير القرآني للقرآن [١٢ / ٩٣٢] بتصرف .

تدبير، وأحسن نظام. {الْعَلِيمُ} الذي بعلمه، جعلها مصالح لعباده، ومنافع في دينهم ودنياهم (١).

وقال القاسمي: «ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ» أي ذلك الجري المتضمن للحكم والمصالح والمنافع، والمدهش نظام سيره وإحكامه بلا اختلال، تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور، المحيط علما بكل معلوم. (٢)

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله - تعالى -: «وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا» قال: «مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ» (٣).

وقال - تعالى -: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ [الرعد: ٢].

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء: ٣٣] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ [إبراهيم: ٣٣]

بينت هذه الآيات حركة الشمس والقمر الدائمة، ودورانها في مدارٍ يختلف أحدهما عن الآخر، وجريانها الذي لا يتوقف إلا بانتهاء الأجل الذي قدره الله - تعالى - لعمر الدنيا.

"وحركة هذه الأجرام في الفضاء الهائل أشبه بحركة السفين في الخضم الفسيح. فهي مع ضخامتها لا تزيد على أن تكون نقطا سابحة في ذلك

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي [ص: ٦٩٦].

(٢) محاسن التأويل [٨/ ١٨٤].

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٥٨، والبخاري في الصحيح برقم [٤٨٠٢]، ومسلم في الصحيح برقم [١٥٩].

الفضاء المرهوب. وإن الإنسان ليتضاءل ويتضاءل، وهو ينظر إلى هذه الملايين التي لا تحصى من النجوم الدوارة، والكواكب السيارة، متناثرة في ذلك الفضاء، سابعة في ذلك الخضم، والفضاء من حولها فسيح وأحجامها الضخمة تائهة في ذلك الفضاء الفسيح! والشمس تدور حول نفسها. وكان المظنون أنها ثابتة في موضعها الذي تدور فيه حول نفسها. ولكن عرف أخيرا أنها ليست مستقرة في مكانها. إنما هي تجري. تجري... في اتجاه واحد في الفضاء الكوني الهائل بسرعة حسبها الفلكيون باثني عشر ميلا في الثانية! والله- ربها الخبير بها وبجريانها وبمصيرها- يقول: إنها تجري لمستقر لها. هذا المستقر الذي ستنتهي إليه لا يعلمه إلا هو- سبحانه-. ولا يعلم موعده سواه. وحين نتصور أن حجم هذه الشمس يبلغ نحو مليون ضعف لحجم أرضنا هذه. وأن هذه الكتلة الهائلة تتحرك وتجري في الفضاء، لا يسندها شيء، ندرك طرفا من صفة القدرة التي تصرف هذا الوجود عن قوة وعن علم: «ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ»...<sup>(١)</sup>.

وجريان الشمس حول محورها ودوران الأرض حولها واختلاف منازل الأرض من الشمس، يترتب عليه ظواهر عديدة منها اختلاف الفصول وما في ذلك من المنافع، فلكل فصل مزاياه وأهميته، والفصول الأربعة متتابعة ومتكاملة وتنوعها يعود بالمنفعة على الإنسان والحيوان والنبات.

ومن الحقائق العلمية التي توصل لها العلماء: أن الشمس بمجموعتها التي تدور حولها، تجري جميعا حول مركز مجرة "الطريق اللبني" بسرعة تبلغ ٢٥٠ كم في كل ثانية، أو ٩٠٠ ٠٠٠ كم في الساعة. وبالرغم من هذه السرعة الفائقة إلا أن النظام الشمسي يستغرق ٢٤٠ مليون سنة للدوران حول مجرة الطريق اللبني.

(١) يراجع: في ظلال القرآن [٥/ ٢٩٦٩] بتصرف يسير .

وشمسنا هذه -وهي تدور حول نفسها- تدور بنا أيضا على الحاشية الخارجية للمجرة وهي تتباعد عن هذه الحاشية الخارجية بمقدار اثني عشر ميلا كل ثانية... وهكذا جميع السيارات تسير إلى جانب أو آخر مع دورانها الخاص طبقا لنظامها، فمنها ما يسير بسرعة ثمانية أميال في الثانية، ومنها ما يسير بسرعة ثلاثة وثلاثين ميلا في الثانية، ومنها ما يسير بسرعة أربعة وثمانين ميلا في الثانية. وجميع النجوم على هذا النحو تبعد في كل ثانية بسرعة فائقة عن مكانها. هذه الحركة المدهشة تحدث طبقا لنظام وقواعد محكمة بحيث لا يصطدم بعضها ببعض ولا يحدث اختلاف في سرعتها. (١)

المطلب الثالث: الشمس وحساب السنين.

قال - تعالى -: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّينَ وَالْجِسَابَ ۗ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾

[يونس: ٥].

ولولا هذا التقدير الذي قدره الله - سبحانه - لحساب الشهور والأيام والساعات ونقصانها وزيادتها لم يعلم الناس بذلك ولا عرفوا ما يتعلق به كثير من مصالحهم، فالسنة تتحصل من اثني عشر شهراً، والشهر من ثلاثين يوماً إن كان كاملاً، ومن تسع وعشرين يوماً إن كان ناقصاً واليوم من ساعات معلومة هي أربع وعشرون ساعة لليل والنهار، وقد يكون لكل واحد منهما اثنتا عشرة ساعة في أيام الاستواء، ويزيد أحدهما على الآخر في أيام الزيادة وأيام النقصان، والاختلاف بين السنة الشمسية والقمرية معروف (٢).

(١) الإسلام يتحدى [٦٤] باختصار.

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن [٦/ ١٧].



وقال - تعالى- في سورة الإسراء: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۗ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَانُهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ [الإسراء: ١٢]

قال الطبري: "ومن نعمته عليكم أيها الناس، مخالفته بين علامة الليل وعلامة النهار، بإظلامه علامة الليل، وإضاءته علامة النهار، لتسكنوا في هذا، وتتصرفوا في ابتغاء رزق الله الذي قدره لكم بفضله في هذا، ولتعلموا باختلافهما عدد السنين وانقضائها، وابتداء دخولها، وحساب ساعات النهار والليل وأوقاتها"<sup>(١)</sup>.

فالمراد بالسنين - هنا- القمرية التي هي ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً، وثمانية ساعات، وثمان وأربعون دقيقة، ولا مانع من أن تشمل جملة آية السنين والحساب السنة الشمسية التي هي ثلاثمائة وخمس وستون يوماً، وخمس ساعات وتسع وأربعون دقيقة أيضاً، والفرق بينهما عشرة أيام وإحدى عشرة ساعة ودقيقة واحدة<sup>(٢)</sup>.

فالقمر يدور حول الأرض في كل شهر قمرى مرة واحدة، وحول نفسه في وقت مساوٍ تماماً لدورته حول الأرض، لذلك لا نرى من القمر إلا وجهاً واحداً طوال الحياة، لأنه يدور حول الأرض، وحول نفسه في وقت واحد، ويستكمل دورته حول نفسه في تسعة وعشرين يوماً، وثمانية ساعات، ويستكمل دورته حول الأرض في تسعة وعشرين يوماً وثمانية ساعات. لكن الشيء الذي يلفت النظر أن القمر يقطع في كل يوم من دائرة سيره من فلكه حول الأرض ثلاث عشرة درجة، ويتأخر في شروقه عن اليوم السابق تسعاً وأربعين دقيقة كل يوم، ولولا هذا التأخر لبدا القمر بداراً طوال الحياة، ولكن تأخره تسعاً وأربعين دقيقة

(١) جامع البيان للطبري [١٧/ ٣٩٥].

(٢) يراجع: بيان المعاني [٨/ ٣].

عن شُروقه السابق كلَّ يومٍ هو الذي يُرِينَا القمَرَ في مراتبٍ، مِن هلالٍ، إلى رُبعٍ، إلى بَدْرٍ، إلى عُرجونٍ، إلى غيابٍ كاملٍ<sup>(١)</sup>.

---

(١) يراجع: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة [٢ / ٢٤] محمد راتب النابلسي .

### المطلب الرابع: القسم بالشمس.

القرآن الكريم آية مبصرةٌ وحجةٌ ظاهرةٌ ومعجزةٌ باقيةٌ وحاضرةٌ، تتجلى في كل وقت وحين، تشهد للحق وتبيّنه وتبديّد سحائب الباطلِ وغيوم الضلالِ.

والقسم من أساليب القرآن في إقامة الحجة وتقريرها، والتتويه على آيات الله في الكون، فتارة يقسم الله - تعالى - بهذه الآيات الكونية العجيبة على صدق الآيات التنزيلية العظيمة، وتارة يلوح بالقسم ويبيّن أن الأمر أوضح وأكد من أن يحتاج لقسمٍ.

ومن الأقسام في القرآن القسم بالشمس وما يتبعها ويتعلق بها أو يتزامن معها من ظواهر وأجرام، والقسم بالسماء والأرض وبالنفس البشرية قال - تعالى -: ﴿ وَالنَّمِيسَ وَضَحَّتْهَا ① وَالْقَمَرَ إِذَا لَلَّتْهَا ② وَالنَّهَارَ إِذَا جَلَّتْهَا ③ وَاللَّيْلَ إِذَا بَغَسَتْهَا ④ وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَتْهَا ⑤ وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَّتْهَا ⑥ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْتَهَا ⑦ فَالْمَهْمَهَا جُؤْرَهَا وَتَقْوَنَهَا ⑧ قَدْ أَلْفَحَ مِنْ رُكْنِهَا ⑨ وَقَدْ حَابَ مَنْ دَسَّهَا ⑩ ﴾ [الشمس: ١ - ١٠]، فأقسم - تعالى - بالشمس وقت تألقها، وساعة شروقها فتبدو في أبهى حللها وفي أجمل أحوالها، ففي الشتاء تبعث أشعتها بالنور والدفء، وفي الصيف قبل أن ترتفع تكون الساعات المبكرة في النهار من أطفها نداوة وطرارة، ومن أرقها نسима، وأقسم - تعالى - بالقمر حين يتبعها وينوب عنها في السماء، سيّما في الليلة الظلماء حين يكتمل البدر فيُجلي ظلام الليل، وبالنهار إذا طلع فأشرقته له الدُنى، وبالليل إذا أرخى سدوله، والسماء وما أعظم بناءها، وبالأرض وكيف بسطها ومدّها ووسّعها بقدر ما يلائم الحياة عليها. كما أقسم بالنفس البشرية كيف سوّاه وأبدعها ربنا خلقه وجبلها على هذه الفطرة السوية، وألهمها رشدًا، وخيّرنا بين طريق الحق والغواية، بهذه الخلائق وتلك الحقائق التي لا يماري فيها أحد أقسم الله - عز وجل - على حقيقة مؤكدة قد تغيب عن الأذهان أو يماحل فيها أهل الجحود والنكران بأن الفلاح لمن زكى نفسه فطهرها وارتنى بها وحملها على طاعة الرحمن، والخيبة والخذلان على من ضيّعها وأطلق لها العنان، وحملها على معصية الملك الديان، فدفنها في تربة المهلكات وغطّها في أوحال الشهوات.

يقول صاحب الظلال: " يقسم الله - سبحانه - بهذه الخلائق والمشاهد الكونية، كما يقسم بالنفس وتسويتها وإلهامها. ومن شأن هذا القسم أن يخلع على هذه الخلائق قيمة كبرى وأن يوجه إليها القلوب تتملأها، وتتدبر ماذا لها من قيمة وماذا بها من دلالة، حتى استحقت أن يقسم بها الجليل العظيم.... وهنا نجد القسم الموحى بالشمس وضحاها.. بالشمس عامة وحين تضحى وترتفع عن الأفق بصفة خاصة " (١).

### المطلب الخامس: الشمس والظل.

الظل نعمة من الله - تعالى - تستروح إليه النفوس، فتقيء من وهج الشمس وحرّها. تشرق الشمس بأشعتها فيبدأ الظل في الانحسار شيئاً فشيئاً كلما ارتفعت الشمس حتى تتوسط الشمس كبد السماء فتزى الظل أقل ما يكون، فإذا مالت جهة الغرب تبدأ الظلال في الزيادة إلى أن تصل إلى أقصاها عند الغروب وتلك هي حركة الظل بالامتداد والانقباض.

إنها آية عظيمة جديرة بالنظر والتأمل، قال - تعالى -: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفِيوُا ظِلَّهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ** ﴾ [النحل: ٤٨]، فينتقل الظل من حال إلى حال، لكنه في جميع أحواله ساجدٌ لربه وقد جُبل على طاعته.

قال الضحاك: إذا طلعت الشمس يسجد ظلُّ كل شيء نحو المغرب، فإذا زالت الشمس سجد ظل كل شيء نحو المشرق حتى تغيب (٢).

وقال ابن جزي: "معنى الآية اعتبار بانقزال الظل ويعني بقوله ﴿ ما خلق الله من شيء ﴾ الأجرام التي لها ظلال من الجبال والشجر والحيوان وغير ذلك وذلك أن الشمس من وقت طلوعها إلى وقت الزوال يكون ظلها إلى جهة ومن

(١) في ظلال القرآن [٦/ ٣٩١٥].

(٢) أخرجه أبو الشيخ كما في الدر المنثور للسيوطي [٤/ ٦٣٠].

الزوال إلى الليل إلى جهة أخرى ثم يمتد الظل ويعم بالليل إلى طلوع الشمس وقوله «يتقيؤ» من الفياء وهو الظل الذي يرجع بعكس ما كان غدوة<sup>(١)</sup>.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى [٢ / ٧٣] .

## المبحث الأول

## تعريف الشمس

المطلب الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي.

أولاً: المعنى اللغوي.

شمس: الشَّيْنُ وَالْمَيْمُ وَالسَّيْنُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى تَلَوْنٍ وَقَلَّةِ اسْتِقْرَارٍ، وَسُمِّيَتْ بِالشَّمْسِ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا غَيْرُ مُسْتَقَرَّةٍ، فَهِيَ أَبَدًا مُتَحَرِّكَةٌ. وَيُقَالُ: شَمَسَ يَوْمًا، وَأُشْمِسَ، إِذَا اشْتَدَّتْ شَمْسُهُ، وَالشَّمُوسُ مِنَ الدَّوَابِّ: الَّذِي لَا يَكَاذُ يَسْتَقِرُّ. يُقَالُ شَمَسَ شِمَاسًا<sup>(١)</sup>.

قال الراغب: "الشَّمْسُ يقال للقرصة، وللضوء المنتشر عنها، وتجمع على شُمُوسٍ. قال - تعالى -: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [يس: ٣٨]، وقال: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

[الشَّمْسُ] النَّجْمُ الأَقْرَبُ إِلَى الأَرْضِ، حَيْثُ تَدُورُ حَوْلَهُ مَعَ سَائِرِ كَوَاكِبِ المَجْمُوعَةِ الشَّمْسِيَّةِ<sup>(٣)</sup>.

فالشمس: نجم مضيء في السماء يشع لنا حرارة وضياء.

(١) مقاييس اللغة [٢/٣ / ٢١٣]. مادة [شمس].

(٢) المفردات في غريب القرآن [ص: ٤٦٤].

(٣) استقدت هذا التعريف من د. محيي الدين عبد الغني أستاذ الفيزياء بالنرويج ، ويراجع المعجم الوسيط [١/ ٤٩٤] والمدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة [ص: ٧٨] محمد محمود محمددين / طه عثمان الفراء .

### المطلب الثاني: الشمس في الاستعمال القرآني.

في إحدى وثلاثين آية وردت كلمة الشمس في القرآن الكريم، إلى جانب ورودها بصفتها؛ وكذلك ما ورد في قوله - تعالى - عن صفة نعيم الجنة ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۗ﴾ [الإنسان: ١٣] ويتدبري لهذه الآيات تبين لي: أن القرآن تحدث عن الشمس باعتبارها آية من آيات الله الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وربوبيته لهذا العالم وإنعامه على عباده بأسباب البقاء والعيش، فالشمس سبب لكثير من الإنعام فمنها النور والدفء، وهي حساب زماني ومكاني للعباد، ومواقيت للصلوات والأذكار ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى عَسْفِ اللَّيْلِ وَقُرْآنِ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۗ﴾ [الإسراء: ٧٨]، والذُلُوكُ الغُرُوبُ... وَقِيلَ: الذُّلُوكُ زَوَالُ الشَّمْسِ نِصْفَ النَّهَارِ. وَقِيلَ: الذُّلُوكُ مِنْ وَقْتِ الزَّوَالِ إِلَى الغُرُوبِ.

العَسْفُ سَوَادُ اللَّيْلِ وَظُلْمَتُهُ. <sup>(١)</sup> وَقِيلَ: عَسْفُ اللَّيْلِ دُخُولُ أَوَّلِهِ. وقت صلاة العشاء قال - تعالى - : ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ۗ﴾ [طه: ١٣٠] ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُرُوبِ ۗ﴾ [ق: ٣٩].

وهي مسخرة بأمر الله - تعالى - للإنسان شأنها شأن غيرها من المسخرات، ودائبة لا تتوقف ولا تتوانى، وهي في عبادة الله - تعالى - تسجد لعظمته وتسبح بحمده. كما تحدث القرآن عن مصيرها يوم القيامة، فكما كانت في الدنيا مصدر إمداد وعطاء، فهي يوم القيامة مشهد وفصل من أهوال هذا اليوم العظيم يومئى بجلال الله وعظمته وجبروته وكبريائه.

(١) البحر المحيط لأبي حيان [٧/ ٩٧].

المطلب الثالث: الألفاظ ذات الصلة: [القمر ، النجوم، الكواكب ].

**أولاً: القمر:** وأصله من القمرة، وهي البياض، ويجمع القمر أقماراً. فإذا قيل القمران، أريد: الشمس والقمر. كما تقول العمران، أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - . قال الشاعر:

لنا قمرها والنجوم الطوالع<sup>(١)</sup> . . . . .

**وفي الصحاح:** " القمر بعد ثلاث ليالٍ إلى آخر الشهر، سمي قمرًا لبياضه".<sup>(٢)</sup> باعتبار أن أيامه الأولى يسمى هلالاً.

**والقمر:** جرم سماوي صغير يدور حول كوكب أكبر منه ويكون تابعاً له، ومنه القمر التابع للأرض والأقمار التي تدور حول كواكب المريخ وزحل والمشتري وغيرها<sup>(٣)</sup>.

قال ابن القيم - رحمه الله - عن القمر: "وانظر إلى القمر وعجائب آياته، كيف يُبديه الله كالخيط الدقيق، ثم يتزايد نوره، ويتكامل شيئاً فشيئاً كل ليلة حتى ينتهي إلى إبداره وكماله وتمامه، ثم يأخذ في النقصان حتى يعود على حالته الأولى؛ ليظهر من ذلك مواقيت العباد في معاشهم وعباداتهم ومناسكهم، فتميزت به الأشهر والسنون، وقام به حساب العالم مع ما في ذلك من الحكم والآيات والعبر التي لا يُحصيها إلا الله"<sup>(٤)</sup>. كذلك يجدر بنا أن نتأمل في حجم القمر ومقدار بعده عن الأرض. فلو كان أكبر من هذا لكان المد الذي يحدثه في بحار الأرض كافياً لغمرها بطوفان يعم كل ما عليها. وجاذبية

(١) التلخيص في معرفة أسماء الأشياء [ص: ٢٥٦] ، والبيت للفرزدق ، يراجع: شرح نقائض

جرير والفرزدق [٣/ ٨٢٦] . ويراجع: مقاييس اللغة [٥/ ٢٥] .

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية [٢/ ٧٩٨] . مادة [قمر].

(٣) المعجم الوسيط [٢/ ٧٥٨] ، مادة [قمر].

(٤) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ٣٠٣ - ٣٠٤ .



الشمس وجاذبية القمر للأرض لهما حسابهما في توازن وضعها، وضبط خطاها في هذا الفضاء الشاسع الرهيب، الذي تجري فيه مجموعتنا الشمسية كلها بسرعة عشرين ألف ميل في الساعة وفي هذا الفضاء الشاسع الرهيب لا يختل مدار نجم بمقدار شعرة، ولا يختل حساب التوازن والتناسق في حجم ولا حركة". (١)

### ثانياً: النجم:

**النجم لغة:** نجم الشيء ينجم بالضم نُجوماً: ظهر وطلع. يقال: نَجَمَ السِّنُّ، والقَرْنُ، والنَّبْتُ، والنَّجْمُ: الوقت المضروب، ومنه سَمِيَ المُنَجَّمُ. ويقال: نَجَمْتُ المال، إذا أدَيْتَهُ نُجوماً... والنَّجْمُ من النبات: ما لم يكن على ساقٍ. قال - تعالى-: ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ [الرحمن: ٦]. والنَّجْمُ: الثريا، وهو اسمٌ لها علم، مثل: زيدٍ وعمرو. فإذا قالوا: طلعَ النَّجْمُ، يريدون الثريا (٢).

**وفي الكليات لأبي البقاء:** كلُّ طالعٍ فَهُوَ نجم، يُقال: نجم السن، والقرن، والنبت إذا طلعت... (٣).

وسمي النجم نجماً؛ لطلوعه في السماء كذلك لما ينجم عنه من إشعاع كما يقول د محيي الدين عبد الغني " جزيئات ذات طاقة عالية ضوئية وحرارية".

**والنجم اصطلاحاً:** جسمٌ سماويٌّ مضيءٌ ذاتياً، يتألف من كتلة من الغازات تتكثَّر بسبب جاذبيتها الذاتية وتولِّد طاقة بتفاعلات نرّية في داخله " (٤).

(١) يراجع: في ظلال القرآن ٧ / ٩٥ .

(٢) يراجع الصحاح [٥ / ٢٠٣٩] ، وتاج العروس [٣٣ / ٤٧٥] . مادة [نجم].

(٣) الكليات [ص: ٥٢٣].

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة [٣ / ٢١٧٣] ، والمعجم الوسيط [٢ / ٩٠٥]. مادة [نجم].

وعرفها الجغرافيون بأنها: أجرام سماوية تضيء بذاتها وتتبعث منها

الطاقات الحرارية والضوئية نتيجة ما يحدث فيها من تفاعلات الجغرافيا<sup>(١)</sup>.

وحديث القرآن عن النجوم حديثٌ فيه البيان الكافي والجواب الشافي لما تحتاجه الإنسانية من معرفة، كما أنه يفتح الآفاق نحو مزيد من المعرفة لتلك الأجرام التي سخرها الله لمنافع الإنسان، قال - تعالى - : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٧] وقال - تعالى - : ﴿ وَعَلَّمْتِ يَا نَجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل: ١٦].

قال قتادة: "خلق هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك فقد أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به"<sup>(٢)</sup>. يقصد بذلك الرد على الانحرافات الخاطئة والمعتقدات الفاسدة في النجوم، لكن قد يكون لخلقها فوائد أخرى كثيرة يكشف العلم عنها<sup>(٣)</sup>.

وقال الرازي: "أما النجوم: ففيها منافع: المنفعة الأولى: كونها رجوماً للشياطين، والثانية: معرفة القبلة بها، والثالثة: أن يهتدي بها المسافر في البر والبحر،... ومنها ما يغرب تارة ويطلع أخرى، وأيضاً منها ثوابت، ومنها سيارات، ومنها شرقية، ومنها غربية والكلام فيها طويل<sup>(٤)</sup>.

والنجوم علامات على الأوقات والفصول والمواسم يهتدي بها العوامُّ وأصحابُ الزروع والحادون والملاحون وغيرهم، وقد جعلها الله أمانةً وحفظاً للسماء وزينةً لها ﴿ وَزَيْنًا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [١٣]

(١) المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة [ص: ٦٦].

(٢) رواه البخاري معلقاً: كتاب بدء الخلق، باب في النجوم: رقم ٦١٤.

(٣) ألمح لهذا المعنى د محيي الدين عبد الغني عالم الفيزياء بالنرويج .

(٤) مفاتيح الغيب للرازي [ ١ / ٢٦٤ ] .

[فصلت: ١٢]. وقد أثبت العلم صلة الأفلاك والنجوم البعيدة عنا وتأثيرها على الأرض، بتدبير الله - تعالى - وحفظه لهذا العالم.

كما حدثنا القرآن عن مصيرها وأحوالها يوم القيامة، فهي جزء من مشاهدتها العظام وأهوالها الجسام ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾﴾ التكوير: ١ - ٢ ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُجِّرَتْ ﴿٩﴾﴾ [المرسلات: ٧ - ٩].

قال ابن القيم " .. ثم تأمل حكمته - تبارك وتعالى - في هذه النجوم وكثرتها وعجيب خلقها وأنها زينة للسماء، وأدلة يهتدى بها في طرق البر والبحر وما جعل فيها من الضوء والنور بحيث يمكننا رؤيتها مع البعد المفترط، ولولا ذلك لم يحصل لنا الاهتداء والدلالة ومعرفة المواقيت. ثم تأمل تسخيرها منقادة بأمر ربها تبارك و - تعالى -، جارية على سنن واحد اقتضت حكمته وعلمه أن لا تخرج عنه، فجعل منها البروج والمنازل والثوابت والسيارة والكبار والصغار والمتوسط والأبيض الأزهر والأبيض الأحمر، ومنها ما يخفى على الناظر فلا يدركه. وجعل منطقة البروج قسمين: مرتفعة ومنخفضة، وقدر سيرها تقديرًا واحدًا، ونزل الشمس والقمر والسيارات منها منازلها، فمنها ما يقطعها في شهر واحد وهو القمر، ومنها ما يقطعها في عام، ومنها ما يقطعها في عدة أعوام، كل ذلك موجب الحكمة والعناية... (١).

### ثالثا: الكوكب:

جاء في الصحاح: كوكب الشيء: معظمه. وكوكب الروضة: نورها. وكوكب الحديد: بريقه وتوقده (٢). وفي معجم البلدان: " الكوكب البياض في سواد العين ذهب البصر أم لم يذهب، والكوكب من السماء معروف ويشبه به

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم [ ١ / ٢١١ ] .

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية [ ١ / ٢١٣ ] .

النور فيسمى كوكبا، ويقال لقطرات الجليد التي تقع على النقل بالليل كوكب، والكوكب: شدة الحر، وكوكب كل شيء: معظمه مثل كوكب العشب وكوكب الماء وكوكب العيش، وغلّام كوكب إذا ترعرع وحسن وجهه، والكوكب: الماء<sup>(١)</sup>.

**وَالْكُوكَبُ:** جرم سماويّ يدور حول الشَّمْسِ ويستضيء بضوئها. وأشهر الكواكب مرتبة على حسب قربها من الشَّمْسِ: عطارد الزهرة الأرض المريخ المُشْتَرِي<sup>(٢)</sup>.

والكواكب زينة السماء، تتألق ببريقها في سواد الليل الحالك، فتزدان السماء في عرس بهيج، وتطلق الشهب الحارقة لتصيب الشياطين التي تسعى لاستراق السمع، قال - تعالى -: ﴿ إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكُوكَبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُفْذَوْنَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الصفوات: ٦ - ١٠]. وقد أدى انبهار بعض الناس بها مع تزيين الشيطان إلى عبادتها من دون الله، وقد بين إبراهيم عليه السلام بالحجة القاطعة بطلان عبادتها في سياق تدرجه مع قومه وصولاً بهم إلى التوحيد الخالص، بعد تنفيرهم من عبادة الشمس والقمر والكواكب وإثبات بطلانها، قال - تعالى -: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكَبَاتِ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ إِلَّا فِيلِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٦].

كما تحدث القرآن عن مصير تلك الكواكب يوم القيامة حيث ينتثر نظمها وينفطر عقدها قال - تعالى -: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكُوكَبُ انْتَرَتْ ﴿٢﴾ ﴾ [الانفطار: ١ - ٢]، وهذا يدل على أنها كانت متسقة منتظمة.

(١) معجم البلدان [٤ / ٤٩٤].

(٢) المعجم الوسيط [٢ / ٧٩٣] مادة [كوكب].

"وتتمركز الشمس في القلب من النظام الشمس. وهي تحتوي، في الحقيقة؛ على ٩٩,٨ % من الكتلة الكلية للنظام الشمسي كله. وحولها يدور ثمانية كواكب، كلٌّ في فلكه [مداره] حول الشمس. وجاذبية الشمس هي التي تمسك الكواكب في أماكنها. وإلي جانب هذا يأتي ذكر المليارات من الأجسام الأخرى التي تدور حولها، ومن بينها "كويكبات"، و"مذنبات"، وأقمار، وكويكبات قزمية. والكواكب الأربعة الداخلية، أي الأقرب إلى الشمس، هي: عطارد، والزهرة، والأرض، والمريخ؛ تسمى "الكواكب الصخرية"، أو الكواكب الحجرية، وهي صغيرة نسبياً. وبعد هؤلاء نجد "الكواكب الغازية" الكبيرة الحجم، وهي: المشترى، زحل، وأورانوس، ونبتون...".<sup>(١)</sup>

وتبدو لنا الشمس صغيرة نسبياً؛ وذلك لأنها تقع بعيداً جداً عن الأرض. على بعد ١٥٠ مليون كيلومتر، ويستغرق ضوءها ثمانين دقائق وعشرين ثانية فقط؛ للوصول إلى الأرض.<sup>(٢)</sup>

يقول د. محيي الدين عبد الغني: "ويلاحظ أن [السماء الدنيا] جاءت في ثلاثة مواضع فحسب في القرآن، وتوحي الآيات الثلاث بأن [السماء الدنيا] هي ما يعلونا من غلاف جوي يحيط بالأرض، وهو بالفعل الذي يمثل الحماية

---

(١) الشمس النجم الذي يهبنا الحياة ص ٣٦ معلومات وحقائق عن الشمس بأسلوب مبسط يفهمه الجميع ، تأليف الكاتب النرويجي: ديبول بركا، ترجمة: د. محيي الدين عبد الغني ، والكتاب مخطوط تحت الطبع ، أرسله لي صديقي المترجم وقد أشرت له أن يغير عناوين البحث لما فيه من مخالفة عقديّة فواهب الحياة هو الله تعالى . ومن الأمانة أن أسجل هنا رده حيث قال: " : نؤمن إيماناً راسخاً بأن الله هو خالق كل شيء، بما فيها الشمس والإنسان، وهذا حديث إيماني. أما الحديث العلمي فيتحدث عن السنة الإلهية التي تعطينا الحياة، فلا حياة على الأرض بدون الشمس. الأسلوب الإيماني في الحديث مختلف عن الأسلوب العلمي: عندما أتحدث عن كيف خلق الإنسان؟ أقول مخلوق من المني وهي الحقيقة العلمية. وعندما أسأل من خلق الإنسان؟ فالإجابة دون تردد، الله تعالى].

(٢) نفس المرجع ص ٣٦.

والحفظ من المذنبات والكويكبات التي تحترق عند مرورها فيه قبل أن تصل إلى الأرض.

### المطلب الرابع: حكمة اقتران الشمس بالقمر في القرآن.

اقترن ذكر الشمس بالقمر في أكثر المواضع لما بينهما من ترابط وتكامل، فالشمس هي محور المجموعة التي تنسب لها والتي تضم مجموعة من الكواكب تدور من حولها مع تفاوت في سرعة الدوران واختلاف في مداراته، بينما القمر تابع للأرض يدور حولها ويعكس ضوء الشمس من وجهه اللامع، فينير في المساء، والشمس آية النهار والقمر آية الليل قال - تعالى -:

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٣] ،

وبيّن - تعالى - كونهما مسخرين لمنافع الناس ومصالحهم قال - تعالى -:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ ﴾ [النحل: ١٢]

[، وأن حركتهما دائمة لا تتوقف إلى أن يأذن الله لهذا النظام بالزوال ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ [إبراهيم: ٣٣]. فذكر -

تعالى - أن الليل والنهار والشمس والقمر من خلق الله - تعالى - ، مسخرةً بأمره من أجلنا، وأن الشمس والقمر يسبحان، واقتران الليل والنهار بهما واضح بيّن، كما في قوله - تعالى -:

﴿ وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ١ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ٢ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ٣ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ٤ ﴾ [الشمس: ١ - ٤]. والليل والنهار له ارتباط بالشمس، فهي آية النهار، الظلام يحلُّ بغروب الشمس ويسفرُّ الصبح بشروق الشمس قال - تعالى -:

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّاعَاتِ وَالْحِسَابَ ٥ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس: ٥].

قال ابن القيم: "ومن تدبّر أمر هذين النّيرين العظيمين وجدتهما من أعظم الآيات في خلقهما وجرمهما ونورهما وحركتهما على نهج واحد لا ينيان ولا يفتران،... ولا يجري أحدهما في فلك صاحبه ولا يدخل عليه في سلطانه، ولا تدرك الشمس القمر ولا يجيء الليل قبل انقضاء النهار، بل لكل حركة مقدرة ونهج معين لا يشركه فيه الآخر، كما أن له تأثيرا ومنفعة لا يشركه فيها الآخر، وذلك مما يدل من له أدنى عقل على أنه بتسخير مسخر وأمر أمر وتدبير مدبّر بهرت حكمته العقول وأحاط علمه بكل دقيق وجليل"<sup>(١)</sup>.

وغالبا ما يتقدم ذكر الشمس على القمر، لكونها آية أعظم، ونورها ذاتي، بخلاف القمر فإن نوره قبسٌ من نورها وانعكاس له، وهو تابع للأرض التي تتبعها مع غيرها من الكواكب، فكلاهما جزء من منظومة واحدة، خاضعان لسنن واحدة. ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

فجاء اقترانهما لبيان انتظام حركتهما ودوامها فلا تتوقف، بل تسير بحساب دقيق ونظام محكم لا يختل، قال - تعالى - ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٣]، وقال - تعالى - ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥].

كما جاء اقترانهما في سياق بيان مصيرهما عند نهاية الكون، حيث يلتحمان ويتحدان فيصيران كتلةً واحدةً قال - تعالى - ﴿وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ﴾ [القيامة: ٩].

"إن حركة الأرض حول الشمس منضبطة تمام الانضباط، والتغيير يتم ولكن بدرجة ضئيلة لا تظهر إلا على مدى قرون، وهذا القمر الذي يتبع في

(١) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم [٢ / ١٦٥] بتصرف .

حركته الأرض يدور في فلك مقرر ومنضبط مع تفاوت يسير جداً، يتكرر بعد كل ثمانية عشر عاماً ونصف عام بدقة فائقة " (١).

ويرى البعض من "المفارقة السعيدة: أن قرصي القمر والشمس متساويان تقريباً عندما ننظر إليهما من الأرض إلا أن الشمس في الواقع أكبر من القمر وأبعد منه. وبفضل النسبة في بعد القمر والشمس عنا ونسبة قطر كل منهما، أمكن لكسوف الشمس أن يكون كلياً عندما يقع القمر بين الشمس والأرض في خطٍ مستقيم " (٢).

والحق إنَّ بُعد الشمس والقمر عن الأرض وقطرهما وبالنسب التي ذكرنا، ليس من المفارقات السعيدة أو الصدف العجيبة كما كتب أكثر الذين استقينا منهم المعلومات الفلكية أعلاه، بل بتقدير وتدبير وتسخير من خالقها، لحكم كثيرة ، أمّا التعبير بكلمات كالصدفة السعيدة أو العجيبة فقد آتت لها في القرن العشرين أن تُمحي من كتابات العلماء ليحلَّ محلها كلمة الخالق، ولكن الإنسان كان وسيظل كما وصفه ربه: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ٦ ﴾ [العاديات: ٦].

(١) الإسلام يتحدى [٦٥] بتصرف . والكون من الذرة إلى المجرة د حمادي العبيدي ص ٢١ .

(٢) الإسلام يتحدى ، وحيد الدين خان [٧٤] بتصرف .



## المبحث الثاني

### الشمس من آيات الله العظيمة

الشمس آية من آيات الله وشاهدٌ يدلُّ على قدرته ووحدانيته وتدبيره لملكه، تمثُّنا بالدفع والطاقة والضوء، ولها دورٌ أساسيٌّ في عملية الإنبات والإثمار وإنضاجها، وبها نعرف الأوقات والأيام والشهور والسنين، وغير ذلك من منافعها التي لا يحصيها إلا خالقها ومسخرها - جل وعلا-.

قال - تعالى -: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [يونس: ٥].

فالشمس من آياته - تعالى- الشاهدة والناطقة، يجليها الله في الكون المنظور وفي كتابه المسطور لأهل العلم. قال - تعالى -: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ مَا أَمُرُ بِفَصْلِ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الرعد: ٢] فهي آيةٌ جليةٌ واضحة، وشاهدٌ حسيٌّ على البعث.

وقال - تعالى -: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجْمُ مَسْخَرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [النحل: ١٢]، ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾ [فصلت: ٣٧]

فبيَّنت الآيات الكريمة كونَ الشمس آيةً من آيات الله تدل على كمال قدرته وربوبيته لهذا العالم وتدبيره ولطفه، وتشهد بوحدانيته - تعالى- ، وهذه الآيات إنما يعتبر بها وينتفع العقلاء والعلماء ،وقد ساقها الله لمن يريد أن يستيقن، فأية الشمس من أعظم الآيات التي يجب أن تسترعي انتباهنا وتثير عقولنا وتلفت أنظارنا إلى عظمة الخالق ولطف تدبيره وحسن تقديره. أما

الجُهال والمشككون والغافلون فلا يقفون على هذه الآيات ولا يستبصرونها. فالشمس تشرق كل صباح وتغرب كل مساء حتى أصبحت عندهم أمراً مألوفاً لا يسترعي انتباههم ولا تثير وجدانهم، بل تحجب أهواءهم شمس الحقيقة فلا يبصرونها في رابعة النهار.

فمن دلائل قدرته وشواهد عظمته: الليل والنهار، وما بينهما من تداخل وامتزاج واختلاف وائتلاف، وتفاضل وتكامل، الليل بظلامه ووحشته وسكونه ورهبته، ونجومه وأقماره وكواكبه، والنهار بجلائه وضياؤه وشمسه وحركته، وللشمس منافعها العميمة، منها الحرارة والضياء وتحديد المواقيت، ومنافع أخرى كثيرة تدل على حكمة الله وتقديره وعظمة تدبيره.

تقول الحسابات إن الشمس تبعد عن الأرض ٩٢,٥ مليون من الأميال، ولو كانت أقرب إلينا من هذا لاستحالت الحياة واحترقت الكائنات! ولو كانت أبعد منا لأصاب التجمد والموت ما على الأرض! والذي يصل إلينا من حرارة الشمس لا يتجاوز جزءاً من مليوني جزء من حرارتها. وهذا القدر الضئيل هو الذي يلائم حياتنا. ولو كان نجم الشعري بضخامته وإشعاعه هو الذي في مكان الشمس منا لتبخرت الكرة الأرضية، وذهبت بدأ!

وكذلك القمر في حجمه وبعده عن الأرض. فلو كان أكبر من هذا لكان المد الذي يحدثه في بحار الأرض كافياً لغمرها بطوفان يعم كل ما عليها. وكذلك لو كان أقرب مما وضعه الله بحسابه الذي لا يخطئ مقدار شعرة! وجاذبية الشمس وجاذبية القمر للأرض لهما حسابهما في هذا الفضاء الشاسع الرهيب، الذي تجري فيه مجموعتنا الشمسية كلها بسرعة عشرين ألف ميل في الساعة ومع هذا لا تلتقي بأي نجم في طريقها على ملايين السنين! وفي هذا الفضاء الشاسع الرهيب لا يختل مدار نجم بمقدار شعرة، ولا يختل حساب

التوازن والتناسق في حجم ولا حركة " .<sup>(١)</sup> وصدق الله - تعالى - ﴿ الشَّمْسُ  
وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ [الرحمن: ٥] .

فالشمس لا تتخلف عن مواعدها طرفة عين، والقمر له دورته الثابتة لا يتخلف عنها ومنازله لا يبرح فلكه ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آتِلُ سَابِقَ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس: ٤٠] .

قال الرازي: "أما الشمس فتتقَرَّر في طلوعها وغروبها، فلولا ذلك لبطل أمر العالم كله، فكيف كان الناس يسعون في معاشهم، ثم المنفعة في طلوع الشمس ظاهرة، ولكن تأمل النفع في غروبها فلولا غروبها لم يكن للناس هدوء ولا قرار مع احتياجهم إلى الهدوء والقرار لتحصيل الراحة وانبعاث القوة الهاضمة وتنفيذ الغذاء إلى الأعضاء على ما قال - تعالى -: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ آيَاتٍ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ [يونس: ٦٧] وأيضاً فلولا الغروب لكان الحرص يحملهم على المداومة على العمل على ما قال: ﴿ وَجَعَلْنَا آيَاتٍ لِّبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝ ﴾ [النبأ: ١٠ - ١١] والثالث: أنه لولا الغروب لكانت الأرض تحمى بشروق الشمس عليها حتى يحترق كل ما عليها من حيوان، ويهلك ما عليها من نبات على ما قال: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَيْكِ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ﴾ [الفرقان: ٤٥] فصارت الشمس بحكمة الحق - سبحانه وتعالى - تطلع في وقت وتغيب في وقت، بمنزلة سراج يدفع لأهل بيت بمقدار حاجتهم ثم يرفع عنهم ليستقروا ويستريحوا فصار النور والظلمة على

(١) يراجع: في ظلال القرآن ٧ / ٩٥ .

تضادهما متعاونين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم هذا كله في طلوع الشمس وغروبها<sup>(١)</sup>.

### المطلب الأول: التسخير.

الصلة بين الحديث عن الكون وبيان إنعامه - تعالى - على عباده وعنايته واضحة وثيقة فخلق الكون وتسخييره للإنسان من أعظم النعم، وفي القرآن آيات عديدة تقرر هذا المعنى وترسخه: قال - تعالى - في سورة إبراهيم: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٢].

و"التَّسْخِيرُ": سياقة إلى الغرض المختص، فالمسخر: هو المقيض للفعل<sup>(٢)</sup>.

وعرفه د. جبل في المعجم الاشتقاقي بقوله: "التسخير للآدميين هو إجراء الشيء على ما يوافقهم، وأن ينتفعوا به مختلف وجوه الانتفاع"<sup>(٣)</sup>.

فالشمس والقمر من جملة المخلوقات التي سخرها الله - تعالى -، طوعها لمصالحنا ومعاشنا، قال الطبري: «(وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) يَتَعَاقَبَانِ عَلَيْكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِصَلَاحِ أَنْفُسِكُمْ وَمَعَاشِكُمْ (دَائِبَيْنِ) فِي اخْتِلَافِهِمَا عَلَيْكُم، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَنَّهُمَا دَائِبَانِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير الرازي [١ / ٢٦٣]، ونحو ذلك ما ذكره ابن القيم في التبيان في أقسام القرآن - ٢ / ١٧١. يقول العالم الفيزيائي والكيميائي المصري المقيم بالنرويج محيي الدين عبد الغني: " هذه الآية الكريمة ليست دليلا على ما قال الرازي من موت بسبب الشروق الدائم. وللعلم فالشروق الدائم إن حدث فلن يسبب الموت للكائنات الحية، بل يسبب الإخلال بوظائف الأعضاء".

(٢) المفردات في غريب القرآن [ص: ٤٠٢]. وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز [٢٠٣ / ٣] بتصريف.

(٣) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، للدكتور محمد حسن جبل فصل السين والحاء.

(٤) جامع البيان [١٦ / ١٣].

وفي سورة النحل ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِ رَبِّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [النحل: ١٢ - ١٨].  
يذكرنا الله - تعالى - بنعمه التي لا تحصى والتي من أعظمها خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم والليل والنهار وغير ذلك من النعم المسخرة لمنافع الإنسان وتيسير عيشه، تلك النعم التي يغفل عنها كثير من الناس جودا ونكرانا، أو ذهولا ونسيانا؛ لكونها مألوفة دائمة، فلا يشعرون بها مع جلائها ودوامها.

قال الواحدي: " معنى تسخيرهن: تذليلهن لما يراد منها من طلوع وأفول وسير ورجوع ".<sup>(١)</sup>

وقال الماوردي: «مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ» يحتمل وجهين: أحدهما: مثلات بقدرته. والثاني: جاريات بحكمه<sup>(٢)</sup>. فكلها تحت قهره وسلطانه وإرادته جل وعلا.

وهذه المنظومة الكونية الواحدة في صالح الإنسان، فكل ما في الكون مسخر له، وكل ما في الكون له دوره في هذه المنظومة، قال الجاحظ: " إذا تأملت في هذا العالم وجدته كالبيت المعدّ، فيه كل ما يحتاج إليه، فالسما مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كالسباط، والنجوم منورة كالمصابيح والإنسان كمالك البيت المتصرف فيه، وضروب النبات مهياً لمنافعه وضروب الحيوانات مصرفة في مصالحه، فهذه جملة واضحة دالة على أن العالم مخلوق بتدبير كامل وتقدير شامل وحكمة بالغة وقدرة غير متناهية والله أعلم"<sup>(٣)</sup>.

(١) التفسير البسيط [٩/ ١٧٤]

(٢) النكت والعيون [٢/ ٢٣٠]

(٣) تفسير الرازي ٣ / ٣١٩ .

والشمس والقمر يعملان بنظام دقيق مستمر بلا خلل أو عطب أو توقّف ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ [إبراهيم: ٣٣]. وهل هناك نظام بشري لا يعتريه الخلل؟ وهل يستطيع الإنسان أو الآلة أن تعمل بلا توقّف؟ إن لكل جهاز صلاحيته التي لا تتجاوز سنوات معدودة فكيف بهذين النيرين لا يتوقفان ولا يعطبان ولا ينحرفان قيد أنملة.

واختلاف الليل والنهار آية عظيمة ونعمة جليلة من نعم الله - تعالى - على الإنسان والكون، قال - تعالى -: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ [٧١] ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهَا أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [٧٢] ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [٧٣]. [القصص: ٧١ - ٧٣].

"الله - سبحانه وتعالى - لم يشأ أن يجعل الليل سرمدًا، أو النهار سرمدًا، بل جعل الليل والنهار، ووصل بعضهما ببعض، ولم يجعل لأحدهما وجودا بغير الآخر.. وجعل ذلك رحمة منه سبحانه، لعباده، وإحسانا إليهم..<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثاني: جريان الشمس.

بعيدا عن نور الإيمان ونور العلم شاع الاعتقاد في عصور الانحطاط العلمي في أوروبا، أن الشمس ثابتة وأنها مركز الكون، بينما كان المسلمون على علم بحركة الشمس وجريانها في مدارها من كتاب الله - تعالى -: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [٣٨] ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ

(١) التفسير القرآني للقرآن - [٤ / ١٣٧].

عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣١﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آتِلُ سَابِقَ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ [يس: ٣٨ - ٤٠].

**قال السعدي:** وجريان الشمس " حركتها في فلکها المرسوم لها، وهي تقطع دورة في هذا الفلك تمام السنة، وفي سرعة مذهلة ".<sup>(١)</sup>، " فلا تتعدها، ولا تقصر عنه، وليس لها تصرف في نفسها، ولا استعصاء على قدرة الله - تعالى-. {ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} الذي بعزته دبر هذه المخلوقات العظيمة، بأكمل تدبير، وأحسن نظام. {الْعَلِيمِ} الذي بعلمه، جعلها مصالح لعباده، ومنافع في دينهم ودنياهم<sup>(٢)</sup>.

**وقال القاسمي:** " {ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} أي ذلك الجري المتضمن للحكم والمصالح والمنافع، والمدهش نظام سيره وإحكامه بلا اختلال، تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور، المحيط علما بكل معلوم.<sup>(٣)</sup>

**وعن أبي ذر** رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله - تعالى -: {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا} قال: «مستقرها تحت العرش»<sup>(٤)</sup>.

**وقال - تعالى -:** ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢]

(١) التفسير القرآني للقرآن [١٢ / ٩٣٢] بتصرف.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي [ص: ٦٩٦].

(٣) محاسن التأويل [٨ / ١٨٤].

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٥ / ١٥٨، والبخاري في الصحيح برقم [٤٨٠٢]، ومسلم في الصحيح برقم [١٥٩].

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [٣٣] ﴿ [الأنبياء:  
 ٣٣]، ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ [٣٣] ﴿ [إبراهيم:

[ ٣٣

بينت هذه الآيات حركة الشمس والقمر الدائمة، ودورانهما في مدارٍ يختلف أحدهما عن الآخر، وجريانهما الذي لا يتوقف إلا بانتهاء الأجل الذي قدره الله - تعالى - لعمر الدنيا.

"وحركة هذه الأجرام في الفضاء الهائل أشبه بحركة السفين في الخضم الفسيح. فهي مع ضخامتها لا تزيد على أن تكون نقطا سابحة في ذلك الفضاء المرهوب. وإن الإنسان ليتضاءل ويتضاءل، وهو ينظر إلى هذه الملايين التي لا تحصى من النجوم الدوارة، والكواكب السيارة، متناثرة في ذلك الفضاء، سابحة في ذلك الخضم، والفضاء من حولها فسيح وأحجامها الضخمة تائهة في ذلك الفضاء الفسيح! والشمس تدور حول نفسها. وكان المظنون أنها ثابتة في موضعها الذي تدور فيه حول نفسها. ولكن عرف أخيرا أنها ليست مستقرة في مكانها. إنما هي تجري. تجري... في اتجاه واحد في الفضاء الكوني الهائل بسرعة حسبها الفلكيون باثني عشر ميلا في الثانية! والله- ربها الخبير بها وبجريانها وبمصيرها- يقول: إنها تجري لمستقر لها. هذا المستقر الذي ستنتهي إليه لا يعلمه إلا هو- سبحانه-. ولا يعلم مواعده سواه. وحين نتصور أن حجم هذه الشمس يبلغ نحو مليون ضعف لحجم أرضنا هذه. وأن هذه الكتلة الهائلة تتحرك وتجري في الفضاء، لا يسندها شيء، ندرك طرفا من صفة القدرة التي تصرف هذا الوجود عن قوة وعن علم: «ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ»...»<sup>(١)</sup>.

(١) يراجع: في ظلال القرآن [٢٩٦٩ / ٥] بتصرف يسير .



وجريان الشمس حول محورها ودوران الأرض حولها واختلاف منازل الأرض من الشمس، يترتب عليه ظواهر عديدة منها اختلاف الفصول وما في ذلك من المنافع، فلكل فصلٍ مزاياه وأهميته، والفصول الأربعة متتابعةً ومتكاملةً وتنوعها يعودُ بالمنفعة على الإنسان والحيوان والنبات.

ومن الحقائق العلمية التي توصل لها العلماء: أن الشمس بمجموعتها التي تدور حولها، تجري جميعاً حول مركز مجرة "الطريق اللبني" بسرعة تبلغ ٢٥٠ كم في كل ثانية، أو ٩٠٠ ٠٠٠ كم في الساعة. وبالرغم من هذه السرعة الفائقة إلا أن النظام الشمسي يستغرق ٢٤٠ مليون سنة للدوران حول مجرة الطريق اللبني.

وشمسنا هذه -وهي تدور حول نفسها- تدور بنا أيضاً على الحاشية الخارجية للمجرة وهي تتباعد عن هذه الحاشية الخارجية بمقدار اثني عشر ميلاً كل ثانية... وهكذا جميع السيارات تسير إلى جانب أو آخر مع دورانها الخاص طبقاً لنظامها، فمنها ما يسير بسرعة ثمانية أميال في الثانية، ومنها ما يسير بسرعة ثلاثة وثلثين ميلاً في الثانية، ومنها ما يسير بسرعة أربعة وثمانين ميلاً في الثانية. وجميع النجوم على هذا النحو تتباعد في كل ثانية بسرعة فائقة عن مكانها. هذه الحركة المدهشة تحدث طبقاً لنظام وقواعد محكمة بحيث لا يصطدم بعضها ببعض ولا يحدث اختلاف في سرعتها. (١)

المطلب الثالث: الشمس وحساب السنين.

قال - تعالى -: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۗ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾

[يونس: ٥].

(١) الإسلام يتحدى [٦٤] باختصار .

ولولا هذا التقدير الذي قدره الله - سبحانه - لحساب الشهور والأيام والساعات ونقصانها وزيادتها لم يعلم الناس بذلك ولا عرفوا ما يتعلق به كثير من مصالحهم، فالسنة تتحصل من اثني عشر شهراً، والشهر من ثلاثين يوماً إن كان كاملاً، ومن تسع وعشرين يوماً إن كان ناقصاً واليوم من ساعات معلومة هي أربع وعشرون ساعة لليل والنهار، وقد يكون لكل واحد منهما اثنتا عشرة ساعة في أيام الاستواء، ويزيد أحدهما على الآخر في أيام الزيادة وأيام النقصان، والاختلاف بين السنة الشمسية والقمرية معروف<sup>(١)</sup>.

وقال - تعالى - في سورة الإسراء: ﴿ وَجَعَلْنَا آيَاتٍ لِلنَّهَارِ آيَاتٍ فَحَوَّنَا آيَةَ الْآيِلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ وَفَصَّلْنَاهُ تَقْصِيلاً ﴿١٣﴾ ﴾ [الإسراء: ١٢].

قال الطبري: " ومن نعمته عليكم أيها الناس، مخالفته بين علامة الليل وعلامة النهار، بإظلامه علامة الليل، وإضاءته علامة النهار، لتسكنوا في هذا، وتتصرفوا في ابتغاء رزق الله الذي قدره لكم بفضله في هذا، ولتعلموا باختلافهما عدد السنين وانقضائها، وابتداء دخولها، وحساب ساعات النهار والليل وأوقاتها"<sup>(٢)</sup>.

فالمراد بالسنين - هنا - القمرية التي هي ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً، وثمانين ساعات، وثمان وأربعون دقيقة، ولا مانع من أن تشمل جملة آية السنين والحساب السنة الشمسية التي هي ثلاثمائة وخمس وستون يوماً، وخمس ساعات وتسع وأربعون دقيقة أيضاً، والفرق بينهما عشرة أيام وإحدى عشرة ساعة ودقيقة واحدة<sup>(٣)</sup>.

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن [١٧ / ٦].

(٢) جامع البيان للطبري [٣٩٥ / ١٧].

(٣) يراجع: بيان المعاني [٨ / ٣].

فالقمرُ يدورُ حولَ الأرضِ في كلِّ شهرٍ قمرِيٍّ مرَّةً واحدةً، وحولَ نفسه في وقتٍ مساوٍ تماماً لِدَوْرَتِهِ حولَ الأرضِ، لذلك لا نرى من القمرِ إلا وجهاً واحداً طوالَ الحياة، لأنَّهُ يدورُ حولَ الأرضِ، وحولَ نفسه في وقتٍ واحدٍ، ويستكملُ دورتهُ حولَ نفسه في تسعةٍ وعشرين يوماً، وثمانِي ساعاتٍ، ويستكملُ دورتهُ حولَ الأرضِ في تسعةٍ وعشرين يوماً وثمانِي ساعاتٍ. لكنَّ الشيءَ الذي يلفتُ النَّظَرَ أنَّ القمرَ يقطعُ في كلِّ يومٍ من دائرةٍ سيِّره من فلكِهِ حولَ الأرضِ ثلاثَ عشرةَ درجةً، ويتأخَّرُ في شُرُوقِهِ عن اليومِ السابقِ تسعاً وأربعين دقيقةً كلَّ يومٍ، ولولا هذا التأخُّرُ لبدا القمرُ بَدْراً طوالَ الحياة، ولكنَّ تأخُّرَهُ تسعاً وأربعين دقيقةً عن شُرُوقِهِ السابقِ كلَّ يومٍ هو الذي يُرينا القمرَ في مراتبٍ، من هلالٍ، إلى رُبُعٍ، إلى بَدْرٍ، إلى عُرجونٍ، إلى غيابٍ كاملٍ<sup>(١)</sup>.

#### المطلب الرابع: القسم بالشمس.

القرآن الكريم آية مبصرةٌ وحجةٌ ظاهرةٌ ومعجزةٌ باقيةٌ وحاضرةٌ، تتجلى في كل وقتٍ وحينٍ، تشهد للحق وتبيِّهُه وتبديدُ سحائبِ الباطلِ وغيومِ الضلالِ. والقسم من أساليب القرآن في إقامة الحجة وتقريرها، والتنويه على آيات الله في الكون، فتارةً يقسم الله - تعالى - بهذه الآيات الكونية العجيبة على صدق الآيات التنزيلية العظيمة، وتارةً يلوِّح بالقسم ويبين أن الأمر أوضح وأكد من أن يحتاج لقسم.

ومن الأقسام في القرآن القسم بالشمس وما يتبعها ويتعلق بها أو يتزامن معها من ظواهر وأجرام، والقسم بالسماء والأرض وبالنفس البشرية قال -

تعالى:- ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ۝ (١) وَالْقَمَرُ إِذَا نَلَّهَا ۝ (٢) وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ۝ (٣) وَاللَّيْلُ إِذَا يَعَشَّهَا ۝ (٤) وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا ۝ (٥) وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَّهَا ۝ (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ (٨)

(١) يراجع: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة [٢/ ٢٤] محمد راتب النابلسي .

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا ﴿١﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ﴿١٠﴾ [الشمس: ١ - ١٠]، فأقسم - تعالى - بالشمس وقت تألقها، وساعة شروقها فتبدو في أبهى حللها وفي أجمل أحوالها، ففي الشتاء تبعث أشعتها بالنور والدفء، وفي الصيف قبل أن ترتفع تكون الساعات المبكرة في النهار من أطفها نداوة وطراوة، ومن أرقها نسима، وأقسم - تعالى - بالقمر حين يتبعها وينوب عنها في السماء، سيما في الليلة الظلماء حين يكتمل البدر فيجلي ظلام الليل، وبالنهار إذا طلع فأشرقت له الدنى، وبالليل إذا أرخى سدوله، والسماء وما أعظم بناءها، وبالارض وكيف بسطها ومدّها ووسّعها بقدر ما يلائم الحياة عليها. كما أقسم بالنفس البشرية كيف سوّاه وأبدعها ربنا خلقه وجبلها على هذه الفطرة السوية، وألهمها رشدًا، وخيّرًا بين طريق الحق والغواية، بهذه الخلائق وتلك الحقائق التي لا يماري فيها أحد أقسم الله - عز وجل - على حقيقة مؤكدة قد تغيب عن الأذهان أو يماحل فيها أهل الجحود والنكران بأن الفلاح لمن زكى نفسه فطهرها وارتقى بها وحملها على طاعة الرحمن، والخيبة والخذلان على من ضيّعها وأطلق لها العنان، وحملها على معصية الملك الديان، فدفنها في تربة المهلكات وغطّها في أحوال الشهوات. يقول صاحب الظلال: " يقسم الله - سبحانه - بهذه الخلائق والمشاهد الكونية، كما يقسم بالنفس وتسويتها وإلهامها. ومن شأن هذا القسم أن يخلع على هذه الخلائق قيمة كبرى وأن يوجه إليها القلوب تتملأها، وتتدبر ماذا لها من قيمة وماذا بها من دلالة، حتى استحقت أن يقسم بها الجليل العظيم.... وهنا نجد القسم الموحى بالشمس وضحاها.. بالشمس عامة وحين تضحى وترتفع عن الأفق بصفة خاصة " (١).

#### المطلب الخامس: الشمس والظل.

(١) في ظلال القرآن [٦/ ٣٩١٥].

الظل نعمة من الله - تعالى- تستروح إليه النفوس، فتقيء من وهج الشمس وحرّها. تشرق الشمس بأشعتها فيبدأ الظل في الانحسار شيئاً فشيئاً كلما ارتفعت الشمس حتى تتوسط الشمس كبد السماء فترى الظل أقل ما يكون، فإذا مالت جهة الغرب تبدأ الظلال في الزيادة إلى أن تصل إلى أقصاها عند الغروب وتلك هي حركة الظل بالامتداد والانقباض.

إنها آية عظيمة جديرة بالنظر والتأمل، قال - تعالى-: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَعِيهِمْ ظِلُّهُ، عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ** ﴾ [النحل: ٤٨]، فينتقل الظل من حال إلى حال، لكنه في جميع أحواله ساجدٌ لربه وقد جُبل على طاعته.

**قال الضحاك:** إذا طلعت الشمس يسجد ظل كل شيء نحو المغرب، فإذا زالت الشمس سجد ظل كل شيء نحو المشرق حتى تغيب (١).

**وقال ابن جزي:** " معنى الآية اعتبار بانتقال الظل ويعني بقوله ﴿ ما خلق الله من شيء ﴾ الأجرام التي لها ظلال من الجبال والشجر والحيوان وغير ذلك وذلك أن الشمس من وقت طلوعها إلى وقت الزوال يكون ظلها إلى جهة ومن الزوال إلى الليل إلى جهة أخرى ثم يمتد الظل ويعم بالليل إلى طلوع الشمس وقوله ﴿ يَتَقَيُّوْا ﴾ من الفياء وهو الظل الذي يرجع بعكس ما كان غدوة " (٢).

وقال - تعالى-: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا** ﴾ [٤٥] **ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا** ﴾ [الفرقان: ٤٥ - ٤٦].

في الآية السابقة وجه الرؤية إلى تلك الظاهرة، وفي هاتين الآيتين دعوة لاستحضار عظمة الله وتدبيره لهذا الكون، فالأثر يدلُّ على المؤثر والفعل يدلُّ

(١) أخرجه أبو الشيخ كما في الدر المنثور للسيوطي [٤ / ٦٣٠].

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي [٢ / ٧٣].

على الفاعل والصنعة تدل على الصانع، وهذا المشهد جدير بأن تتملى منه العين وترقبه بإمعان، فهو مشهد حسي يقرر تلك المشاهد والمرئيات الغيبية التي وردت في السورة الكريمة.

**قال ابن عاشور:** "قوله - تعالى-: {وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا}. أي: غير متزايد لأنه لما كان مد الظل يشبه صورة التحرك أطلق على انتقاء الامتداد اسم السكون بأن يلزم مقداراً واحداً لا ينقص ولا يزيد. أي: لو شاء الله لجعل الأرض ثابتة في سمت واحد تجاه أشعة الشمس فلا يختلف مقدار ظل الأجسام التي على الأرض وتلزم ظلالها حالة واحدة فتتعدم فوائد عظيمة" (١).

"إنّ الباحثين يقولون: بحسب ما يرى من الأسباب الظاهرة . إن وجود الشمس، وحركة الأرض حولها، هما السبب في حركة الظل.. ولكن التعبير القرآني يقول لنا إن إرادة الله هي التي حرّكت الظل ابتداءً، [ ثم ] جعلت الشمس دليلاً على الظل، فليست الأسباب الظاهرة هي الأصل، ولكنها تجيء تالية، بل تجيء على التراخي بلفظ [ ثم ]، بعد تقرير الله للأمر بمشيئته، التي تقول للشيء كن فيكون. ثم نتحرك مع السياق حركة جديدة.. ﴿ ثُمَّ قَبَّضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٤٦]، إنّ التعبير يصور حركة الظل الوئيدة التي تراها العين فلا تلتفت إليها، أو لا تلتفت إليها بكليتها، ولكنّ الخيال هنا . مع التعبير القرآني . لا يملك أن يفلت من أسر الصورة التي تصوّرها تلك الكلمات القلائل في إبداع مُعجز ! إنّ الظل هنا لا يتحرك راجعاً من تلقاء نفسه، ولا من أثر الأسباب الظاهرة التي نعرفها.. إنّنا مع السبب الحقيقي، ولكننا نقف مبهورين ننظر إلى الظل وهو يقبل راجعاً بعد ما امتدّ.. لماذا ؟ لأن يداً خفية هي التي تطويه في حركة وئيدة كحركة الظل.. إنّها يد الله ! وهكذا تجدنا مع الله مرة أخرى، نرقب . من حركة الظل . قدرته القادرة، ويده الخفية .

(١) التحرير والتتوير لابن عاشور [١٩ / ٦٤] باختصار .

سبحانه . التي لا تدركها الأبصار ! على أن أروع ما في التعبير القرآني في الآية هو هذا اللفظ [ إلينا ]: ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ (٤٦) الفرقان: ٤٦ أتدري ماذا فعلت هذه اللفظة المفردة في كيان الصورة كله؟! هل تغيرت [ معلوماتك ] عن الظل حين قرأت هذه الآيات ؟ كلاً ! إن [المعلومات ] في ذاتها ليست جديدة. لقد كانت معلومة من قبل، ولكنه ذلك العلم الميت الساكن الذي لا يتحرك، ولكن القرآن يحيي هذه المعلومات حين يعرضها في جوه الوجداني بطريقته المعجزة فتنقض حية كأنها ليست هي التي كنا نعرفها من قبل وما تغيرت هي ! إنما نحن الذين تغيرنا ! حين زال عن حسنا التبدل للتجربة المكرورة والنظر المكرور (١).

والظل نعمة من نعم الله - تعالى - الذي قال: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلًّا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بِأَسْكُمْ كَذَلِكَ يَتَذَكَّرُ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٨١) [النحل: ٨١].

ولا يمكن أن يتساوى الظل مع الحرور، فالظل تستروح إليه النفس وتقيء إليه من حرّ الهاجرة طلباً لنسمة باردة. قال - تعالى -: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴾ (١١) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ [فاطر: ١٩-٢١].  
فكما لا يستوي الأعمى والبصير لا تستوي الظلمات والنور ولا الظل ولا الحرور، فالظلال الوارفة التي يفيء الناس إليها من حر الرمضاء فيستروحون روحها اللطيفة ويتسمون نسيمها البارد لا تستوي أبداً مع شدة الحرارة بالليل ووهجها بالنهار.

وقد أجادت الشاعرة الأندلسية في التعبير عن ذلك بقولها:

(١) دراسات قرآنية محمد قطب ٢٢١ .

وقانا لفحة الرمضاء وإي... وقاه تضاعف النبت العميم  
نزلنا دوحه فحننا علينا... حننوا المرضعات على الفطيم  
وأرشفنا على ظمأ زلالاً... ألد من المدامة للنديم  
يروع حصاه حالية العذاري... فتلمس جانب العقد النظيم  
يصد الشمس أنى واجهتنا... فيحجبها ويأذن للنسيم<sup>(١)</sup>.

---

(١) الأبيات لحمة العوفية كما في نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب - [٤ / ٢٨٨] .



## المبحث الثالث

### أوصاف الشمس

ذكر الله - تعالى - للشمس ثلاثة أوصاف: كونها سراجا وهاجا، وكونها ضياء.

المطلب الأول: الشمس سراج وهاج.

قال - تعالى - : ﴿ نَبَارِكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾ [الفرقان: ٦١].

"والم تأمل من علماء العربية يدرك من وراء ذلك: أن الآية تدلّ على أن الشمس تجمع إلى النور الحرارة فلذلك سماها سراجا، والقمر يبعث بضياء لا حرارة فيه؛ وهو أيضا معنى صحيح تدل عليه الآية دلالة لغوية واضحة. أما الباحث المتخصص في شئون الفلك فيفهم من الآية إثبات أن القمر جرم مظلم وإنما يضيء بما ينعكس عليه من ضياء الشمس التي شبهها بالسراج بالنسبة له؛ وهو أيضا معنى صحيح تدل الآية عليه بلغتها وصياغتها، فأنت تقول: غرفة منيرة إذا انعكس عليها الضوء من سراج في وسطها، ولا تقول قيس منير؛ إذ ينبعث النور من حقيقته وداخله، بل تقول قيس مضيء (١).

وآيات الكون من الآيات الجليلة والبراهين الساطعة التي استشهد بها أنبياء الله في دعواتهم لأقوامهم هذا أول المرسلين نوح عليه السلام يخاطب قومه مبينا لهم قدر الله - تعالى - وعظيم إنعامه وجميل أطافه والذي يرون مظاهره وآثاره بأعينهم وكأنها لم تره من فرط الغفلة ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ [نوح: ١٥ - ١٦].

(١) من روائع القرآن ، للبوطي [ص: ١١٦] .

"وَجَعَلَ اللَّهُ الشَّمْسَ سِرَاجًا يَبْصُرُ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي ضَوْئِهَا كَمَا يَبْصُرُ أَهْلُ  
الْبَيْتِ فِي ضَوْءِ السِّرَاجِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَى إِبْصَارِهِ، وَالْقَمَرَ لَيْسَ كَذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ  
نُورٌ لَمْ يَبْلُغْ قُوَّةَ ضِيَاءِ الشَّمْسِ" (١).

وفي سياق إقامة الأدلة الحسية على إمكان البعث يقول - تعالى - في  
سورة النبأ: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [النبأ: ١٣]. فالشمس جرم متوهج يبعث  
بالحرارة والضياء وفق نظام دقيق من الأدلة الباهرة على قدرة الله - تعالى -  
وعنايته بخلقه، وبما يقررُ أمر البعث الذي يشكك فيه الكفرة.

قال الراغب: السِّرَاجُ: الزَّاهِرُ بفتيلة ودهن، ويعبرُ به عن كلِّ مضيء " (٢).

ذلك أن المصباح يضيء بزيتته، كذلك الشمس تضيء بما فيها من  
طاقات كامنة متجددة، وتفجيرات هائلة.

قال مقاتل: وَالْوَهْجُ يَجْمَعُ النُّورَ وَالْحَرَارَةَ (٣)، وقال الزجاج: الوهاج:  
الوقاد، (٤) وهو الذي وهج، (٥)، وقال الفيروز أبادي: "الْوَهْجُ: حُصُولُ الضَّوئِ،  
وقوله - تعالى -: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾. أَي: مُضِيئًا مُتَوَقِّدًا، وَقَدْ وَهَجَتِ  
النَّارُ تَوَهَّجًا، وَتَوَهَّجَ الْجَوْهَرُ: تَلَأُلًا (٦).

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري [٤/ ٦١٨].

(٢) المفردات في غريب القرآن [ص: ٤٠٦].

(٣) معالم التنزيل للبخاري [٥/ ٢٠٠].

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج [٥/ ٢٧٢].

(٥) الكشاف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي [١٠/ ١١٤]، والتفسير الوسيط للواحدى [٤/ ٤١٢].

(٦) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز [٥/ ٢٨٧].

قَرَأَ حَمْرَةً وَالْكَسَائِيَّ: وَجَعَلَ فِيهَا {سُرُجًا}؛ عَلَى الْجَمْعِ وَقَرَأَ النَّبَأُونَ {سِرَاجًا} عَلَى التَّوَجِيدِ (١).

وهذا معنى آخر يُستفاد من تعدد القراءات في الآية الكريمة، يدلُّ على كثرة الشمس التي تضيء السماء، فالشمس نجم مضيء بذاته، حيث لمعان الشمس يعادل ضوء القمر وهو بدر ٤٠٠ ألف مرة، ويصل ضوء الشمس إلى الأرض بعد ٤٩٩ ثانية، وهي كرة ضخمة من الغازات المتوهجة ذات الكثافة الكبيرة، ويصل قطرها إلى حوالي ١,٣٩٣,٠٠٠ كم، أو ما يعادلها ١٠٩ مرة طول قطر الأرض، ولهذا فإن حجم الكرة الشمسية يزيد على حجم الكرة الأرضية بأكثر من مليون مرة (٢).

وهذه الشمس التي نعدّها اليوم وسيلة حياتنا تبلغ حرارة سطحها: عشرة آلاف درجة فهرنهايت؛ والمسافة بينها وبين الأرض تبلغ ما يقرب من ١٥٠ مليون كيلومتر، وهذا البون الهائل دائم لا يتغير أبداً لزيادة أو نقص، وفي ذلك عبرة عظيمة لنا؛ لأنه لو نقص واقتربت الشمس من الأرض بمقدار النصف مثلاً من الفاصل الحالي فسوف يحترق الورق على الفور من حرارتها، ولو بعد هذا الفاصل فصار ضعف ما هو عليه الآن فإن البرودة الشديدة التي تتجم عن هذا البعد سوف تقضى على الحياة في الأرض، ولو أنه حل محل الشمس سيار آخر غير عادي يحمل حرارة تزيد على حرارة الشمس عشرة آلاف مرة فسوف يجعل من الأرض تنورا رهيباً.

ولقد جاءت سراجا مفردة مرتين في سورة الفرقان وسورة نوح وجاءت موصوفة بكونها وهاجا في سورة النبأ، فالشمس في ذاتها سراج توقد وتضيء بذاتها، ووصفها بكونها وهاجا لشدة ضوئها وحرارتها.

(١) حجة القراءات [ص: ٥١٢].

(٢) المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة [ص: ٧٨].

فحرارة سطح الشمس تبلغ ستة آلاف درجة مئوية، وحرارة جوفها تصل إلى ٢٠ مليون درجة مئوية. وألسنة اللهب ترتفع عن سطحها إلى نصف مليون كيلومتر ناثرة في الفضاء طاقة تساوي ٤٠٠، ١٦٧ حصان من كل متر مربع، لا يصل منها للأرض سوى جزء من مليون جزء<sup>(١)</sup>.

"إنّ هذه الشمس التي يصلنا منها ضوء ينير حياتنا ويدفئنا بلطف هي عبارة عن بئر سحيقة تملؤها سحب غازية حمراء اللون. وتتكون الشمس من ألسنة اللهب التي تكون على شكل خرطوم عملاقة قادمة من أعماق سحيقة مندفعة نحو الخارج بملايين الكيلومترات. لا شك في أن هذه الخرطوم النارية العملاقة خطيرة على حياة الإنسان، ولكن جميع أنواع الأشعة الخطيرة القادمة من الشمس يتم امتصاصها من قبل الغلاف الجوي للأرض ومجالها المغناطيسي قبل أن تصل إلينا، وهذا هو النظام المتقن لمجموعتنا الشمسية."<sup>(٢)</sup>

يقول أحد الباحثين في الإعجاز العلمي: تبين للعلماء أن الشمس هي نجم من نجوم هذا الكون، وهي عبارة عن مصباح تعمل بالوقود النووي، حيث يتفاعل الهيدروجين وتندمج ذراته مع بعضها ثم تنتج ذرات الهليوم وتبث الطاقة والحرارة. ويقول العلماء إن الشمس تصدر ألسنة من اللهب يبلغ طولها مئات الآلاف من الكيلو مترات، وتصدر كميات كبيرة من الطاقة والحرارة، وتحرق الشمس في كل ثانية أكثر من ٤ مليون طن من المادة، جميعها يتحول إلى حرارة وطاقة وإشعاعات بمختلف أنواعها<sup>(٣)</sup>.

(١) «النجوم في مسالكها» للسير جيمس جينز ، ترجمة دكتور أحمد الكردي نقلًا عن «وجوه من الإعجاز القرآني» لمصطفى الدباغ. نقلًا عن مباحث في إعجاز القرآن للدكتور مصطفى مسلم [ص: ١٨١]

(٢) الروعة في كل مكان يحيى هارون [١ / ١٧] .

(٣) المهندس عبد الدائم كحيل مقالة بعنوان {وجعلنا سراجا وهاجا} [www.kaheel7.com](http://www.kaheel7.com).

### المطلب الثاني: الشمس ضياء.

ذكر الله من أوصاف الشمس كونها ضياء، قال - تعالى-: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّينَ وَالْأَحْسَابِ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [يونس: ٥].

بينما الشمس تضيء بذاتها، بما يكمن فيها من طاقة متجددة نجد القمر جسماً معتماً مظلاماً يعكس ضياء الشمس ويبعث به نوراً يبدد ظلام الليالي الحالكة، وضوء الشمس مصحوبٌ بالحرارة والدفء، بينما ضوء القمر بلا حرارة.

قال العسكري: " الضوء: ما كان من ذات الشيء المضيء، والنور: ما كان مستفاداً من غيره." (١).

وقال السمرقندي: " ويقال: جعل الشمس ضياء مع الحر، والقمر نوراً بلا حر " (٢).

(١) معجم الفروق اللغوية [ص: ٣٣٢].

(٢) بحر العلوم [٢/ ١٠٤].

## المبحث الرابع

## الشمس والعبادة

المطلب الأول: سجود الشمس لله - تعالى -.

قال الله - تعالى -: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ (١٨) [الحج: ١٨]، فكل ما في الكون يسجد لله - تعالى - بكيفيات وهيئات متنوعة منها ما نراه ونشاهده ومنها ما يغيب عن حواسنا القاصرة.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «لَأَبِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: «أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟»، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنُ فَيُؤْذَنُ لَهَا وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ، فَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنُ فَلَا يُؤْذَنُ لَهَا يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ - تعالى -: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [يس: ٣٨]"<sup>(١)</sup>.

قال ابن الجوزي: "ربما أشكل الأمر في هذا الحديث على من لم يتبحر في العلم، فقال: نحن نراها تغيب في الأرض، وقد أخبر القرآن أنها تغيب في عين حمئة، فإذا دارت تحت الأرض وصعدت، فأين هي من العرش؟

(١) صحيح البخاري [٤/ ١٠٨] برقم [٣٠٢٧]، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان برقم [١٥٩].

فَالْجَوَابُ: إنَّ الْأَرْضِينَ السَّبْعَ فِي ضَرْبِ الْمِثَالِ كَقُطْبِ رَحَا، وَالْعَرْشَ لِعَظْمِ ذَاتِهِ كَالرَّحَى، فَأَيُّنَ سَجَدَتِ الشَّمْسُ سَجَدَتِ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَذَلِكَ مُسْتَقْرَاهَا. (١).

### المطلب الثاني: الشمس ومواقيت العبادات.

مواقيت العبادة موزعة على النهار وجزء من الليل، والشمس آلة تلك الأوقات، قال - تعالى -: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفُلًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ (١١٤) وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ [هود: ١١٢-١١٥].

فأمر بالمحافظة على الصلوات «طرفي النهار»: الفجر والعصر، «وزلفا من الليل»: وأوقات من الليل تتقرب بها إلى الله، من أول الليل لِقُرْبِهَا مِنَ النَّهَارِ، كصلاة المغرب والعشاء ومن آخره قريبا من النهار.

وقال - تعالى -: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (٧٨) [الإسراء: ٧٨].

والدُّلُوكُ الْغُرُوبُ. وَقِيلَ: الدُّلُوكُ زَوَالُ الشَّمْسِ نِصْفَ النَّهَارِ. وَقِيلَ: الدُّلُوكُ مِنْ وَقْتِ الزَّوَالِ إِلَى الْغُرُوبِ. وَالْغَسَقُ سَوَادُ اللَّيْلِ وَظُلْمَتُهُ. وَقِيلَ غَسَقُ اللَّيْلِ دُخُولُ أَوَّلِهِ. وقت صلاة العشاء (٢).

قال ابن العربي وَفِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: زَالَتْ عِنْدَ كَيْدِ السَّمَاءِ؛ قَالَهُ عُمَرُ، وَابْنُ عُمَرَ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَطَائِفَةٌ سِوَاهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ التَّابِعِينَ

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين [١/ ٣٥٩] لابن الجوزي [ت: ٥٩٧هـ] ، تحقيق علي حسين البواب ط دار الوطن - الرياض . ولقد وقع في نفسي هذا الجواب قبل أن أقرأه ؛ ولذا أراه كافيا لدفع ما قد يشكل من هذا الحديث.

(٢) قال العسكري: قيل: دلوكها: غروبها، وقيل: زوالها. الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري [ص: ٢٨٩] [ت: نحو ٣٩٥هـ] حققه: محمد عثمان: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ط ١ ، ١٤٢٨ هـ.

وَعَيَّرُهُمْ. الثَّانِي: أَنَّ الدُّلُوكَ هُوَ العُرُوبُ؛ قَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَعَلِيٌّ، وَأَبِي بِنُ كَعْبٍ، وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (١).

وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَسَأَلَهُ عَنِ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «أَشْهَدُ مَعَنَا الصَّلَاةَ، فَأَمَرَ بِإِلَاءِ فَأَذَّنَ بِعَلَسٍ، فَصَلَّى الصُّبْحَ حِينَ طَلَعَ الْفَجْرُ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالظُّهْرِ حِينَ زَالَتْ الشَّمْسُ عَنِ بَطْنِ السَّمَاءِ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالْعَصْرِ وَالشَّمْسُ مُرْتَفِعَةٌ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالْمَغْرِبِ حِينَ وَجَبَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالْعِشَاءِ حِينَ وَقَعَ الشَّفَقُ، ثُمَّ أَمَرَهُ الْعَدَّ فَنَوَّرَ بِالصُّبْحِ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالظُّهْرِ فَأَبْرَدَ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالْعَصْرِ وَالشَّمْسُ بِيضَاءُ نَقِيَّةٌ لَمْ تُخَالِطْهَا صُفْرَةٌ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالْمَغْرِبِ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ الشَّفَقُ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالْعِشَاءِ عِنْدَ ذَهَابِ ثُلُثِ اللَّيْلِ، أَوْ بَعْضِهِ فَلَمَّا أَصْبَحَ، قَالَ: «أَيُّنَ السَّائِلُ؟ مَا بَيْنَ مَا رَأَيْتَ وَفُتَّ» (٢).

(١) أحكام القرآن لابن العربي [٣/ ٢٠٩].

(٢) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب أوقات الصلوات الخمس [١/ ٤٢٩]، برقم [٦١٣].



## المبحث الخامس

### عبادة الناس للشمس

الشمس نجم متوسط الحجم والكتلة، وتوجد في الفضاء نجوم أكبر منه مئات بل آلاف المرات، وقديما عرف الناس أهميتها في حياتهم، بينما وصل الجهل ببعض من الناس إلى أن عبدوها من دون الله، فشيّدوا المعابد وقدموا النذور والقربان وسجدوا لها من دون الله، وهذا من ضلالهم وتزيين الشيطان لهم، كما وقع من قوم سبأ الذين كانوا يسجدون للشمس، وأنكر عليهم هدهد سليمان عليه السلام هذا الضلال البين ولقد نقض القرآن الكريم هذه الخرافات، كما سنبينه فيما يلي:

المطلب الأول: موقف إبراهيم - عليه السلام - مع قومه.

قال - تعالى -: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ٧٥ ﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ الْكُوكِبَاتِ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿ ٧٦ ﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿ ٧٧ ﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُغْوِمُونَ فِيَّ بَنِيَّ مِمَّا كُفَرُوا لِي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَافِعًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿ ٧٨ ﴾ [الأنعام: ٧٥ - ٧٩].

أقام إبراهيم الحجة على قومه الذين عبدوا الأصنام وعبدوا الشمس والقمر والكواكب جهلا منهم وضلالا، فهذه الأجرام مع عظمتها وإنافتها وروعيتها ومنافعها الجمّة، فهناك من خلقها وأبدعها وسيّرها، ولقد لفت إبراهيم عليه السلام أنظار قومه إلى كون تلك الأجرام العلوية حادثةً متنقلةً من حال إلى حال بما يتنافى مع طبيعة الإله الحق فالكوكب في أول سطوعه يخلب الأنظار بنوره الأزهر لكنه سرعان ما يغيب ويضمحل أمام نور الصباح، فبين إبراهيم عليه السلام

نفوره من عبادة إله يغيب ويتلاشى؛ لأن الإله الحق لا يغيب ولا يتلاشى، كيف وهو رب كل شيء ومليكه ومدبره ومسيره ! فلما رأى القمر ساطعا ينير ظلمة الليل البهيم وقد تألق في السماء وبدا حسنه وسناؤه تدرج مع قومه فقال على سبيل المجازاة لهم: هذا ربي ! ليلفت أنظارهم لتلك الحجة التي سيلقهم إياها حين يغيب نور القمر فيقول: ﴿ لَيْنَ نَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ فقطع رجاءهم من القمر الآفل وعلق القلوب والآمال بهداية الله - تعالى - التي ليس سواها هداية، ليكشف لقومه سبيل الهداية الأوحى الذي لا ثاني له، وأن الخلق جميعا مفتقرون لهداية ربه، ثم كانت الحجة الثالثة حين طلع النهار وأشرقت الشمس بضياؤها وسناها، وملأت الكون نورا ودفئا فقال مجاريا لقومه: ﴿ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ﴾ مما سبقه من أجرام، فلما غربت وخيم الظلام أعلن براءته مما عليه قومه من شرك وضلال كما أعلن توحيده لله وعبادته له وحده.

قال القاسمي: " وقوله - تعالى - : ﴿ هذا أكبر ﴾. أي: أكبر الكواكب جرما، وأعظمها قوة، وفيه تأكيد لما رامه عليه الصلاة والسلام من إظهار النصفة، مع إشارة خفية إلى فساد دينهم من جهة أخرى، ببيان أن الأكبر أحق بالربوبية من الأصغر <sup>(١)</sup>.

#### المطلب الثاني: مملكة سبأ وعبادة الشمس.

قال الله - تعالى - في قصة سليمان عليه السلام والهدد مع قوم سبأ: ﴿ فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحُطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنْتٍ يُقِينِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٤﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ

(١) محاسن التأويل [٤/ ٤٠٤] ويراجع إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود [٣/

مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا  
لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٦٦﴾ [النمل: ٢٢ - ٢٦].

بعد أن وصف الهدهد ما عليه تلك المملكة من حضارة وازدهار، نعى ما هم عليه من ضلال بعبادتهم الشمس من دون الله - تعالى -: ﴿ وَجَدْتُمْهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ ﴿٢٤﴾، شخّص الهدهد أصل الداء، وهو تزيين الشيطان لهم هذه العبادة الغريبة وتلك الديانة العجيبة التي تدل على جهلٍ وحماقة، كيف يقصدون هذا الجرم السماوي ويتقنون في عبادته وإقامة المعابد وزخرفتها وتزيينها وإنشاد الأناشيد واختلاق الطقوس التي يؤدونها؟! إن هذا كله من وحي الشياطين، من أجل صدّ الناس عن سبيل التوحيد الذي لا سبيل غيره، أما الشمس فمع كبر حجمها وأهميتها في حياتنا لكنها ضئيلة بالمقارنة بغيرها من النجوم التي تكبرها آلاف المرات، فضلا عن كونها جزءا من مجرة تحيطها مجرات كثيرة، فما هي في ملك الله العظيم إلا كحلقة في فضاء، ولذلك تأتي لفظة دقيقة من الهدهد يبين فيها عظمة عرش الرحمن جل وعلا فما عرش بلقيس بالنسبة له وما حجم الشمس مقابله! وما الشمس إلا نجم من بين ملايين الشمس؛ فكان الأولى بهم أن يسجدوا لله - تعالى - الذي يخرج بقدرته ما في السموات وما في الأرض من كنوز وخبايا، من أمطار وأرزاق ونبات وأشجار ومعادن وخيرات.

وفي إخراج الخبء: أمارة على أنه من كلام الهدهد فهو يحط على الأرض وينقرها بمنقاره الطويل فيخرج طعامه " بالهام من يخرج الخبء في السماوات والأرض جلت قدرته ولطف علمه، ولا يكاد تخفى على ذي الفراسة

النظار بنور الله مخائل كل مختص بصناعة أو فن من العلم في روائه ومنطقه وشمائله<sup>(١)</sup>.

وقال - تعالى -: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا سَجْدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٧].

فالشمس هذا النجم العظيم وما ينبثق عنها من منافع للكون آية من آيات الله، وما هي في هذا الكون الرحيب إلا كالكرة المعلقة في فضاء شاسع، ونجم من ضمن مليارات النجوم التي أبدعها الخالق جلّ وعلا، قال - تعالى -: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا سَجْدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٧].

فالشمس جزء من مجموعة تابعة لمجرة، والمجرة واحدة من بلايين المجرات في الكون.

إن نظرة كثير من البشر إلى المخلوقات من حولها تتناقض بين نظرة ملؤها القهر والاستكبار والتسلط وبين الشعور بالمذلة والهوان، بين من يتكلم عن هذه المخلوقات بلغة القهر والتسلط والغرور والقسوة، وبين من سقط في عبادة هذه النعم وترك عبادة المنعم جلّ وعلا فعبدوا الشمس والقمر والنجم والشجر والطير والحجر والوحش والبقر من دون الله، بين من ينظر لهذه المخلوقات بعين الازدراء والتحقير، وبين من ينظر إليها بعين التقديس والتعظيم، بينما كانت رسالة القرآن في بيان النظرة الصحيحة لهذه المخلوقات بعين الاعتبار والتقدير لدورها في الوجود، وأنها مربية لله منقادة له جلّ وعلا

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل [٣ / ٣٦٢].

فهو آخذ بناصيتها، ندرك من ذلك مدى ضلال من عبدها من دون الله إعجاباً  
بمنافعها غافلين عن عبادة من خلقها وسخرها.

## المبحث السادس

## الشمس يوم القيامة

للقرآن الكريم حديثٌ مستقيضٌ عن نهاية العالم، بيّن فيه ما يجري للكون من أمورٍ عظامٍ وأهوالٍ جسامٍ، وأثر ذلك على الإنسان ذلك المخلوق الضعيف الذي سيرى بأبِّ عينيه ما يجري للكون حوله من تغيراتٍ وزلازلٍ وانفجارٍ ودمارٍ يشيب من هولهِ الصغار.

حدثنا القرآن عن مصير الأرض والسماء والنجوم والكواكب والشمس والقمر، والجبال والبحار، وغيرها من الكائنات. مشاهد علوية ومشاهد أرضية، " ففي العالم العلويّ: تنفطر السماء، وتنتثر الكواكب، وتتكور الشمس، وتتكبر النجوم، وتنفرج السماء، وتتشقق، ويخسف القمر، ويجمع الشمس والقمر.. وفي العالم الأرضي: تنفجر البحار، وتسير الجبال، وتكون كالعهن المنفوش، وتفسف نسفاً، وتذكّ دكا.."<sup>(١)</sup>.

## المطلب الأول: حال الشمس عند قيام الساعة.

١ - [أجل الشمس]: يرتبط أجل الشمس بأجل الدنيا فهي من أسباب عمرانها وبقاء هذا العالم، فإذا قضى الله - تعالى - نهاية العالم، أحقّ بالشمس ما يلحق غيرها من الفناء. قال - تعالى - : ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ﴾ [الرعد: ٢].

قال مقاتل: يعني إلى يوم القيامة<sup>(٢)</sup>.

(١) التفسير القرآني للقرآن [١ / ١٢٦].

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان [٢ / ٣٦٦].

**وقال الطبري:** "يَقُولُ جَلَّ ثَنَاهُ: كُلُّ ذَلِكَ يَجْرِي فِي السَّمَاءِ لِأَجْلِ مُسَمَّى: أَي لَوْقَتِ مَعْلُومٍ، وَذَلِكَ إِلَى فَنَاءِ الدُّنْيَا وَقِيَامِ الْقِيَامَةِ الَّتِي عِنْدَهَا تُكْوَرُ الشَّمْسُ، وَيُخْسَفُ الْقَمَرُ، وَتَتَكَدَّرُ النُّجُومُ" (١).

٢ - الخروج من المغرب: من علامات القيامة الكبرى طلوع الشمس من مغربها، خرقة لنواميس الكون وإيدانا بانقضاء الدنيا وخراب الكون، قال الله - تعالى -: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ [الأنعام: ١٥٨].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، يَقُولُ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَأَاهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا، لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ» (٢).

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى -: «لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا» [الأنعام: ١٥٨] قَالَ: «لَا تَزَالُ النَّوْبَةُ مَبْسُوطَةً مَا لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» (٣).

٣ - التكوير: وفي القرآن الكريم سورة كاملة تسمى بسورة التكوير، تبدأ بهذا الحدث العظيم المرتقب وما يرافقه ويلاحقه من أحداث جسام وأحوال

(١) جامع البيان للطبري [١٣ / ٤١١].

(٢) صحيح البخاري [٦ / ٥٨]، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأنعام برقم [٤٣٥٩].

وأخرجه مسلم في الصحيح - الإيمان باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان رقم ١٥٧ [١ / ١٣٧].

، وابن ماجه في السنن [٢ / ١٣٥٢].

(٣) تفسير عبد الرزاق [٢ / ٦٩].

عظام: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سِيلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّعْفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرْتَ ﴿١٤﴾﴾ [التكوير: ١ - ١٤].

فالسورة في أولها حديث عن مشاهد القيامة وأحوالها التي تتجلى على كل مخلوق، على الشمس والنجوم والجبال والبهائم والوحوش وعلى البحار وعلى السماء، مع تحول الغيبيات إلى مشاهد محسوسة، وانتقال الوعد والوعيد إلى حقائق واقعة، فالنفوس تتزواج كلٍّ مع ما يشاكلها كما تتزواج بمصيرها وعاقبتها التي لا تتفك عنها، والموءودة حان وقت القصاص لها وسؤال القاتل بتوبيخ: لماذا قتلها؟ بأي جريمة استحل دماءها! والصحف تتطاير لا تخطئ أصحابها، فسميت بسورة التكوير تنويها على هذا الحدث العظيم وتلك المشاهد المرورة والصور المتداخلة والأحداث المتعاقبة المتشابكة التي عرضتها السورة بأسلوبها الذي يهيج النفوس ويلززل أعماق القلوب ويخلع النفوس من واقعها ليقفها أمام هذه الأحوال العظام.

عَنِ الْحَسَنِ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] يَقُولُ: «نُكُوِّرُ حَتَّى يَذْهَبَ ضَوْوُهَا فَلَا يَبْقَى لَهَا ضَوْءٌ»<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى -: «كُوِّرَتْ»: "أُذْهِبَ ضَوْوُهَا"<sup>(٢)</sup>.

وَعَنْ مَجَاهِدٍ: اِضْمَلَتْ وَذَهَبَتْ<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير مجاهد [ص: ٧٠٧].

(٢) تفسير عبد الرزاق [٣/ ٣٩٥].

(٣) جامع البيان [٢٤/ ٢٣٨].



وعن ربيع بن خثيم: ﴿كُوِّرَتْ﴾: رُمِيَ بها<sup>(١)</sup>.

ويجمع الطبري بين هذه الأقوال فيقول: "والتكوير في كلام العرب: جمع بعض الشيء إلى بعض، وذلك كتكوير العمامة، وهو لفها على الرأس... وكذلك قوله: [إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ] إنما معناه: جمع بعضها إلى بعض، ثم لفت فَرَمِيَ بها، وإذا فعل ذلك بها ذهب ضوءها"<sup>(٢)</sup>.

ويقول سيد قطب: "إن تكوير الشمس قد يعني برودتها. وانطفاء شعلتها، وانكماش ألسنتها الملتهبة التي تمتد من جوانبها كلها الآن إلى ألوف الأميال حولها في الفضاء. كما يتبدى هذا من المرصد في وقت الكسوف. واستحالتها من الغازية المنطلقة بتأثير الحرارة الشديدة التي تبلغ ١٢٠٠٠ درجة، والتي تحول جميع المواد التي تتكون منها الشمس إلى غازات منطلقة ملتهبة.. استحالتها من هذه الحالة إلى حالة تجمد كقشرة الأرض، وتكور لا السنة له ولا امتداد! قد يكون هذا، وقد يكون غيره.. أما كيف يقع والعوامل التي تسبب وقوعه؟ فعلم ذلك عند الله. وانكدار النجوم قد يكون معناه انتشارها من هذا النظام الذي يربطها، وانطفاء شعلتها وإظلام ضوءها.. والله أعلم ما هي النجوم التي يصيبها هذا الحادث. وهل هي طائفة من النجوم القريبة منا.. مجموعتنا الشمسية مثلاً. أو مجرتنا هذه التي تبلغ مئات الملايين من النجوم.. أم هي النجوم جميعها والتي لا يعلم عددها ومواضعها إلا الله. فوراء ما نرى منها بمرصدنا مجرات وفضاءات لها لا نعرف لها عدداً ولا نهاية"<sup>(٣)</sup>.

وفي تحليل أو لنقل تقريب علمي لهذه الظاهرة المرتقبة يقول أحد الباحثين في بيان مصير الشمس بين القرآن والعلم ومعنى قوله - تعالى -: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾: "يقول العلم: تتكون الشمس من ٧٠ % من غاز

(١) نفس المرجع [٢٤ / ٢٣٨].

(٢) نفس المرجع [٢٤ / ٢٣٨].

(٣) في ظلال القرآن [٧ / ٤٦٩].

الهيدروجين، و٢٧% من غاز الهيليوم، ويتم تحول الهيدروجين إلى هيليوم بالتدريج، إلى أن ينتهي فيتكور قلب الشمس [يتداخل في بعضه وينكمش] وتتوقف التفاعلات النووية، وتنتفخ الطبقة الخارجية للشمس ويزداد قطرها إلى درجة تصل فيها أن تبتلع الأرض<sup>(١)</sup>.

ولا شك أن العلم الحديث يكاد يُجمَع على أن للشمس نهايةً وأنها تصيرُ تدريجيًّا، إلى هذه النهاية المرتقبة، ولكن النظريات والافتراضات العلمية لا يمكن أن تستوعب أو تنطبق على الحقائق الغيبية وإن كانت لا تعارضها بل تقربها للأذهان.

### المطلب الثاني: حال الشمس يوم القيامة.

تتعرض الشمس للتكوير حين تفقد طاقتها الكامنة المتجددة، فتتكور كما تكور العمامة وتفقد سيطرتها وجاذبيتها للأجرام الأخرى التي تدور حولها، فتختل تلك السنن الثابتة وتتعطل تلك المنظومة لتؤذن باختلال نظام الكون.

ثم يلتحم بها القمر قال - تعالى -: ﴿ وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ ﴾ قال الواحدي: جُمعا في ذهاب نورهما. (٢)

وقال السمعاني: " ﴿ وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ ﴾: في الخسفة وإذهاب الضوء (٣).

قال ابن عطية: واختلف المتأولون في معنى الجمع بينهما فقال عطاء بن يسار: يجمعان فيقذفان في النار، وقيل في البحر، فتصير نار الله العظمى، وقيل يجمع الضوآن فيذهب بهما (٤).

(١) د. محيي الدين عبد الغني .

(٢) التفسير الوسيط للواحدي [٤/ ٣٩١].

(٣) تفسير السمعاني [٦/ ١٠٤].

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز [٥/ ٤٠٣].

ويرى علماء الفلك أن القمر سيقترب من الشمس حتى يجذب إليها، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الظاهرة التي تعد من مشاهد القيامة ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾.

## المطلب الثالث: الجنة لا شمس فيها.

قال - تعالى- في سياق الحديث عن نعيم أهل الجنة: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا

زَمْهَرِيرًا﴾.

فنعيم الجنة نعيم خالد تامّ ليس هناك ما يكدره أو ينغصه أو ينقصه، وأمور الآخرة لا تتقاس على أمور الدنيا فلاخرة سننها ونواميسها التي تختلف عن سنن الحياة الدنيا، في الدنيا لا غنى عن الشمس فهي أكسير الحياة ومصباح الوجود، أما في الآخرة فأهل الجنة ينعمون ويأكلون ويشربون دون حاجة لوهج الشمس وحرارتها التي تحرك الحياة.

في الدنيا يتضجّر الناس من الحرّ ويتألّمون من البرد الشديد، فينكّد عليهم عيشتهم، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، قال: " اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا ، فَقَالَتْ: رَبِّ قَدْ أَكَلْتُ بَعْضِي بَعْضًا فَنَقَسْنِي ، قَالَ: «فَأَذِنَ لَهَا فِي كُلِّ عَامٍ بِنَفْسَيْنِ فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْبُرْدِ فَهُوَ زَمْهَرِيرُ جَهَنَّمَ ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ فَهُوَ مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ»<sup>(١)</sup>.

أما في الجنة فنعيم مقيم لا يعاني أهلها حرّ شمس ولا يكابدون قسوة برد قال الله - تعالى-: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ (١٣) [الإنسان: ١٣].

قال مقاتل: مقاتل: يعني: شمسًا يؤذيهم حرهم، ولا زمهريًا يؤذيهم برده<sup>(٢)</sup>. وقال ابن كثير: " لَيْسَ عِنْدَهُمْ حَرٌّ مُرْعَجٌ وَلَا بَرْدٌ مُؤَلَّمٌ بَلْ هِيَ مِرَاجٌ وَاحِدٌ دَائِمٌ سَرْمَدِيٌّ لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حَوْلًا"<sup>(٣)</sup>.

(١) متفق عليه: صحيح البخاري كتاب بدء الخلق باب صفة النار، وأنها مخلوقة [٤/ ١٢٠] ، برقم [٣٢٦٠] ، وصحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر لمن يمضي إلى جماعة، ويناله الحر في طريقه [١/ ٤٣١] ، برقم [٦١٧].

(٢) التفسير الوسيط للواحد [٤/ ٤٠٣].

(٣) تفسير ابن كثير [٨/ ٢٩٧].

## المبحث السابع

### لمسات إعجازية في حديث القرآن عن الشمس

- بين القرآن الكريم كون الشمس جزءا من المنظومة الكونية وأنها ليست مركزا للكون كما كان يُتوهم، بل إنها تجري في مدارٍ محدد.
- بين القرآن الكريم أن مركز الشمس وحركتها إنما هو بحساب دقيق.
- أكد العلم الحديث ما قرره القرآن الكريم بنهاية هذا الكون واختلال منظومته.
- بين القرآن كون الشمس مصدر حرارة وضياء بينما القمر يعكس نور الشمس وقد اكتشف العلماء حديثا بأن القمر جسمٌ معتمٌ، يعكس بأحد وجهيه ضوء الشمس .

• في قوله - تعالى-: ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ [الأنعام: ٩٦] يقول د. محيي الدين عبد الغني عالم الفيزياء بجامعة النرويج: " الكلمة تحمل دلالة علمية رائعة، وهي انفلاق الضوء والذي يسمى في الفيزياء التحلل الضوئي، ويحدث عند سقوط الضوء على أحد أوجه المنشور الزجاجي فيتحلل [فينفلق] إلى ألوان [اللون هو ضوء ذو طول موجي مختلف عن الطول الموجي للون الآخر] ونفس الظاهرة تحدث عندما يسقط الضوء على وجه أسطوانة "سي دي"، ولكن توصف في الفيزياء بتشتت الضوء، وهو انفلاق لمكونات الضوء الأبيض أيضا."

• قوله - تعالى-: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ [يونس: ٥]

يقول د. محي الدين عبد الغني: تشير الآية إلى حقيقتين:

**الحقيقة العلمية الأولى:** الشمس منتجة للضوء فهي [ضياء] صانعة له، والقمر منير مجرد عاكس للضوء وينتج عنه نور.

**الحقيقة العلمية الثانية:** تتغير مواضع القمر برتابة معينة بحيث يمكننا الاعتماد عليها في الحساب وإحصاء عدد السنين، ومن هنا فإنني أرى إن الاعتماد على الحساب في تحديد مواقيت الشهور هو نتيجة توجيه قرآني.

قوله - تعالى - : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ [يوسف: ٤]. بالرغم من كون الآية تحكي ما جاء في الرؤية إلا أنها تبين الفرق بين الشمس [نجم]، والكوكب: مثل الأرض يدور حول النجم وتابع له، والقمر وهو أقل وأضعف ضوءاً من الشمس. وفي آية أخرى "والقمر إذا تلاها" أي تتبع الشمس، ليس فقط في التتابع الزمني ولكن تلو ارتباطي أي تجاذب وإمساك، كما يتبع الرضيع الأم.

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٣].

يقول د محيي الدين: "في الآية دلالة استمرار السطوع نهاراً وليلاً، لا كما كان يظن إن للشمس غروباً. فهذا ليس صحيح، الصحيح أننا نحن البشر الذين نغيب عنها، أما هي فهي دائبة الشروق والسطوع. وفي الآية الكريمة جمع بين الشمس والقمر من ناحية، والليل والنهار من ناحية أخرى، وربط بين الظواهر الطبيعية المنبثقة عن دوران الأرض أمام الشمس".

قوله - تعالى - : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٨].

يقول د محيي الدين: تلفت الآية الكريمة إلى ظاهرة تغير ضوء الشمس قوة وضعفاً على مدار النهار، وهو نتيجة لاختلاف زاوية سقوط الأشعة؛

فالمعنى المحوري لدلوك: زوال غلظ الشيء [ارتفاعه أو صلابته] أو حدته [خشونته]، فدلوك الشمس بذهاب حدتها أي حرارتها قبل الغروب أو به.

ولما كانت الشمس تتغير حدتها في فترة محدودة، وهي النهار، ثم تقوى في اليوم التالي وهكذا، فيمكن استنباط إن الشمس نفسها لا تضعف، وأن ما يضعف هو حدة ضوئها، وبذلك تدفع الإنسان إلى التفكير على أساس سليم يوصله إلى حقيقة دوران الأرض، وكذلك ميل سقوط الأشعة، وهذا الميل هو الذي يسبب اختلاف درجات الحرارة.

قوله - تعالى -: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجْدهَا تَطَلَّعَ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ [الكهف: ٩٠].

يقول د محيي الدين: " [ قد يشير القرآن بالتعبير [من دونها سترا] إلى ظاهرة تسمى "شمس منتصف الليل". وهي ظاهرة تظهر لسكان المناطق الواقعة في شمال الكرة الأرضية فيما يسمى بالدائرة القطبية، وفيها تظهر الشمس فلا تغيب على مدار الساعة، أي: ٢٤ ساعة في اليوم ولمدد متفاوتة طولا وقصرا على حسب الوقت من شهور الصيف والمكان. ففي الدائرة القطبية يظهر قرص الشمس في شهور الصيف فلا تغيب لمدة ستة شهور، وفي الشتاء - الستة شهور الأخرى - يغيب قرص الشمس فلا يظهر.

## الخاتمة

## أهم النتائج والتوصيات.

- حديث القرآن عن الشمس بهذه الروعة والدقة، مع مواكبته للعقول والأفهام، وسبقه للعصور والمعارف الإنسانية دليل على صدق القرآن وصدق النبي ﷺ فيما بُلغ عن ربّه لأنه حديث من أحاط بالكون علماً وقدرةً.
- حدثنا القرآن عن الشمس حديثاً وافياً، ومن العجيب أن معظم الآيات التي ذكرت فيها الشمس نزلت بمكة، وهذا يُقرر المقاصد التي تميزت بها السور المكية، حيث ترسيخ العقيدة الصحيحة، وتقنيد المعتقدات الباطلة، ففيها تقرير للربوبية وبرهان الوحدانية، وفيها تقرير للإيمان باليوم الآخر، وجاء الحديث عنها كمظهر من مظاهر القدرة ونعمة من عظام النعم.
- الشمس والقمر آيتان من أعظم الآيات الدالة على قدرة الله وكمال تدبيره لهذا الكون وعنايته بخلقه، فمنافعهما لا نحصيها، وهما يسبحان في هذا الكون في نظامٍ دقيقٍ لا يختلُّ.
- في القيامة يقع هذا التغيّر الرهيب والتحوّل المروّع، فالشمس يخمد لهيبها ويخفت ضوءها وتتكور على نفسها وينجذب القمر بشدةٍ إلى محيطها مما يروّع الإنسان فيتساءل مذعوراً أين المفر !
- الحديث عن الشمس له ارتباطه بالعقيدة من حيث تقريرها وترسيخها في القلوب، وتبصير المؤمن بالأدلة والبراهين والشواهد والدلائل والنعم التي تزيده إيماناً وثباتاً ويقيناً ومحبةً وتعظيماً، ومن حيث ارتباطها بيوم القيامة فهي جزء من أحداثها العظام، وارتباطها بالأحكام فهي علامة على مواقيت الصلوات، ولها ذكرها في القصص القرآني، كما في قصة نوح وإبراهيم -عليهما السلام-.
- في حديث القرآن عن الشمس تجليةً وبياناً للتصور الصحيح عن الكون، فكم من أفكارٍ ومفاهيم خاطئة وخُرَافات وأوهام منتشرة بسبب الجهل



والضلال، وقد جاء الكتاب والسنة بتصحيح المفاهيم وتبديد الأوهام ونقض الخرافات التي استبدت بعقولٍ واستقرت في نفوسٍ.

### توصيات:

- ضرورة اطلاع المفسر على مرجع من المراجع الكونية لتعميق فهمه لكتاب الله - تعالى - فأيات الكون شغلت جزءا كبيرا من كتاب الله.
- أوصي بكتابة بحث حول تطور فهم الآيات الكونية على مر العصور وعظمة القرآن في ذلك.
- أوصي بدراسة تفسير السلف للآيات الكونية في ضوء العلم الحديث لنرى عظمة كتاب الله وقيمة تفسير السلف الصالح.
- أوصي بدراسات موضوعية أخرى للقمر، وللنجوم والكواكب ولالأرض؛ ففي ذلك تأصيلٌ وتوجيهٌ لمسار العلوم وإثراءٌ للمعرفة.

## فهرس المصادر والمراجع

## \* القرآن الكريم

١. الشمس النجم الذي يهنا الحياة معلومات وحقائق عن الشمس بأسلوب مبسط يفهمه الجميع، تأليف الكاتب النرويجي: د.بول بركا، ترجمة: د. محيي الدين عبد الغني، والكتاب مخطوط تحت الطبع.
٢. كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي [ت: ٥٩٧هـ]، تحقيق علي حسين البواب ط دار الوطن - الرياض.
٣. الإقتان في علوم القرآن، للإمام جلال الدين السيوطي [ت ٩١١ هـ] ط عالم الكتب بيروت - بدون.
٤. الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، للأمير علاء الدين على بن بلبان الفارسي [ت ٧٣٩ هـ] - تحقيق شعيب الأرنؤوط - ط مؤسسة الرسالة بيروت.
٥. أحكام القرآن، لابن العربي: أبي بكر محمد بن عبد الله [ت ٥٤٣ هـ]، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٨ هـ.
٦. إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد ت ٥٠٥ ط دار المعرفة بيروت
٧. إرشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد مصطفى العمادي الحنفي [ت ٩٨٢ هـ] ط دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٨. الإسلام يتحدى، لوحيد الدين خان ترجمة عبد الصبور شاهين مكتبة الرسالة.
٩. البحر المحيط للإمام محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي ت ٧٥٤ هـ ط دار إحياء التراث العربي ط سنة ١٤١١ هـ ثانية .

١٠. البرهان في علوم القرآن، ليدر الدين الزركشي [ت ٧٩٤ هـ] دار المعرفة - بيروت، ١٣٩١ بتحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم.
١١. بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين الفيروز آبادي محمد بن يعقوب ت ٨١٧ هـ ط المكتبة العلمية.
١٢. بيان المعاني [مرتب حسب ترتيب النزول]، عبد القادر بن ملاً حويش السيد محمود آل غازي العاني [ت: ١٣٩٨ هـ] ط: مطبعة الترقى دمشق ط: أولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥ م.
١٣. تاج العروس من جواهر القاموس للإمام [محب الدين أبي الفضل السيد محمد المرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي نزيل مصر ت ١٢٠٥ هـ] ط المطبعة الخيرية بجمالة مصر ١٣٠٦ هـ .
١٤. التبيان في أقسام القرآن، لابن قيم الجوزية، ط دار الفكر.
١٥. التحرير والتنوير محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي [المتوفى: ١٣٩٣ هـ] الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس.
١٦. التسهيل لعلوم التنزيل، للإمام المفسر محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي الأندلسي ت ٧٤١ - ٧٩٢ هـ.
١٧. التفسير الحديث، محمد عزة دروزة ط دار إحياء الكتب العربية - القاهرة الطبعة: ١٣٨٣ هـ.
١٨. تفسير القرآن، لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي [ت: ٤٨٩ هـ] المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط. دار الوطن، الرياض ط ١، ١٤١٨ هـ.
١٩. تفسير القرآن الحكيم المشتهر باسم تفسير المنار للسيد محمد شيد رضا [ت: ١٣٥٤ هـ] ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠ م.

٢٠. تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم للإمام الحافظ عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي [ت ٣٢٧هـ] ط مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة ١٤١٩هـ.
٢١. تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤ هـ ط مؤسسة قرطبة .
٢٢. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب ط دار الفكر العربي بالقاهرة.
٢٣. التفسير الكبير للرازي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري [المتوفى: ٦٠٦هـ] ط دار إحياء التراث . بيروت ط ٣ - ١٤٢٠ هـ
٢٤. تفسير مجاهد: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي [ت: ١٠٤هـ] ت د. محمد عبد السلام أبو النيل ط: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر ط ١، ١٤١٠ هـ.
٢٥. تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي [ت ١٥٠هـ] ت: عبد الله شحاته ط دار إحياء التراث - بيروت ط ١، ١٤٢٣ هـ.
٢٦. التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري [ت: نحو ٣٩٥هـ] تحقيق: د. عزة حسن ط: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٩٩٦ م.
٢٧. تهذيب اللغة، للأزهري: أبي منصور محمد بن أحمد بن طلحة الأزهري الهروي [ت ٣٧٠] ط الدار المصرية.
٢٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ت ١٣٧٦ هـ ط مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ.

٢٩. جامع البيان في تأويل القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ ط دار الريان للتراث، ودار الحديث بالقاهرة سنة ١٤٠٧ هـ.
٣٠. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي [ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٧ م .
٣١. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي [ت ٩١١ هـ] ط: دار هجر - مصر: ١٤٢٤ هـ.
٣٢. دراسات قرآنية محمد قطب ط دار الشروق القاهرة
٣٣. الروعة في كل مكان للأستاذ هارون يحيى . موقعه على الشبكة .
٣٤. سنن ابن ماجة [ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت ٢٧٥ هـ ] ط دار الحديث بالقاهرة .
٣٥. سنن أبي داود [ أبو داود سليمان بن شعث السجستاني الأزدي ت ٢٥٧ هـ ] ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان .
٣٦. سنن الترمذي [ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ت ٢٩٧ هـ ] ط دار الفكر ١٤٠٨ هـ .
٣٧. شرح نقائص جرير والفرزدق لأبي عبيدة معمر بن المثنى ،تحقيق: محمد إبراهيم حور، وليد محمود خالص ،ط المجمع الثقافي، أبو ظبي ط ٢١٩٩٨م.
٣٨. صحيح البخاري ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
٣٩. صحيح مسلم بشرح النووي [ الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ت ٢٦١ هـ ] دار إحياء الكتب العربية بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . ط البابي الحلبي بالقاهرة
٤٠. فتح البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي [المتوفى: ١٣٠٧هـ] المكنبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت عام النشر: ١٤١٢ هـ.

٤١. في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ت ١٩٦٦م دار الشروق سنة ١٤٠٧ هـ طبعة ١٣.
٤٢. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله [ ت: ٥٣٨هـ ] ط: دار الكتاب العربي - بيروت. ط٣، ١٤٠٧ هـ.
٤٣. الكليات . لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، ط: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ.
٤٤. الكون من الذرة إلى المجرة د حمادي العبيدي ط دار وحي القلم دمشق ط ٢٠٠٢ م .
٤٥. لسان العرب لجمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن منظور [ ٧١١ هـ ] ط دار المعارف بدون تاريخ .
٤٦. الله يتجلى في عصر العلم تأليف: نخبة من العلماء الأمريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الأرض أشرف على تحريره: جون كلوفر مونسيما ترجمة: الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان .
٤٧. مباحث في إعجاز القرآن للدكتور مصطفى مسلم ط دار القلم سوريا.
٤٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ت ٥٤٦ هـ ط المجمع العلمي بفاس المغرب سنة ١٣٩٥ هـ وطبعة دار الكتب العلمية بيروت .
٤٩. المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة، محمد محمود محمدين، وطه عثمان الفراء، ط دار المريخ.
٥٠. مسند الإمام أحمد بن حنبل ط المكتب الإسلامي بدون تاريخ، ط دار المعارف بتحقيق أحمد شاکر ١٩٥٧ م، وطبعة مؤسسة قرطبة القاهرة بتعليق الشيخ شعيب الأرنؤوط.
٥١. مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب ط دار المعارف بالقاهرة ط ٥.

٥٢. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للعلامة أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ت ٧٧٠ هـ ط المكتبة العصرية بيروت.
٥٣. معالم التنزيل للإمام البغوي ط دار المعرفة بيروت
٥٤. معجزة الذرة هارون يحيى ترجمة: أحمد ممتاز سلطان .
٥٥. معجم البلدان، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي [المتوفى: ٦٢٦هـ]، الناشر: دار صادر، بيروت ط: ٢، ١٩٩٥ م
٥٦. معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري [المتوفى: نحو ٣٩٥هـ]، المحقق: شيخ بيت الله بيات، ط مؤسسة النشر الإسلامي، قم.
٥٧. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عمر [ت: ١٤٢٤هـ] بمساعدة فريق عمل ط: عالم الكتب ط: أولى، ١٤٢٩ هـ.
٥٨. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط: دار الفكر الطبعة: ١٣٩٩هـ.
٥٩. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن القيم ط دار الكتب العلمية - بيروت.
٦٠. مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل ط/ دار القلم. دمشق
٦١. من آيات الإعجاز في القرآن الكريم - جمع الشمس والقمر - للدكتور: زغول النجار، موقع الدكتور زغول النجار.
٦٢. من روائع القرآن - تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، محمّد سعيد رمضان البوطي، ط مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٢٠ هـ
٦٣. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ليوسف الحاج أحمد، مكتبة ابن حجر، دمشق، ط ١٢.
٦٤. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة محمد راتب النابلسي، ط دار المكتبي دمشق الطبعة: الثانية ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥.

٦٥. المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، للدكتور محمد حسن جبل فصل السين والحاء. مكتبة الآداب القاهرة، ط ٢، ٢٠١٢.
٦٦. النشر في القراءات العشر، لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف [ت: ٨٣٣ هـ] تحقيق: علي محمد الضباع [ت ١٣٨٠ هـ]، ط: المطبعة التجارية الكبرى.
٦٧. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب أحمد بن محمد بن المقرئ التلمساني، دار صادر - بيروت - لبنان.